جامعة د. مولاي الطاهر –سعيدة–

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها.

تخصص: دراسات أدبية.

مذكرة مكملة لنيل شهادة ليسانس الموسومة :

القيم الإنسانية في العصر الجاهلي

لامية العرب للشنفرى أنموذجا

من إعداد الطالبتان :

– جبوري صارة

– جلولي فايزة.

تحت إشراف الدكتور :

– عبيد نصر الدين.

السنة الجامعية: 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

ـــ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

ـــ اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ، ودعوة لا يستجاب لها .

ـــ اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت وشر ما لم أعلم ، اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفاجعة نقمتك ، وجميع سخطك .

ـــ اللهم إني أسألك الفوز عند اللقاء والصبر عند القضاء ومنازل الشهادة وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء .

شكر وعرفان

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا، فالحمد لله والشكر أولا وأخيرا على فضله وكرمه وبركته الذي أنعم علينا بالتوفيق بإنجاز هذا العمل ليضاف إلى ميادين البحث العلمي، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وقبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، إلى الذين قادوا سفينة العلم والتعليم وجعلوا من المعرفة دربا سهلا نرى من خلاله الأمل.أساتذة دون استثناء من الابتدائي إلى الجامعي.

ويطيب لنا عرفانا بالجميل أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان وبوافر التقدير وعظيم الإمتنان لأستاذي الجليل عبيد نصر الدين الذي تولى الإشراف على هذه المذكرة وأسهم في إخراجها بتوجيهاته ونائحه، أسأل الله أن يمتعه بالصحة والعافية ويمد الله في عمره. كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من وقفوا بجانبنا طوال فترة دراستنا و لم يبخلوا علينا بمساعدة أو إرشاد أو توجيه، و أخص بالذكر الأستاذة مخلوف حفيظة التي لم تبخل علينا بمد يد المساعدة.

كما نتقدم بالشكر الجزيل لأسرة المكتبات بجامعات سعيدة وإلى جميع من أعانني ومهد لي الطريق من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير للأخ نصر الدين والأخت فاطمة اللذان قاما بطباعة هذه المذكرة.

إهـــــداء

لكل إنسان أمل يجعل له نورا في هذه الدنيا يحقق به غايته ، و عند بلوغ هذه الغاية يكون أشبه بمن يلمس الشمس بيديه فغايتي أن أكون قد بلغت رسالتي و التي أهديها:

إلى التي لا مثيل لها إذا اشتبهت ، و لا أنيس غيرها إذا كرهت ، و لا صدر أوسع من صدرها إذا فرغت ، و لا حنانا أزكى من حنانها إذا مرضت إلى من هي رجائي في حزني ، إلى التي تملك مفتاح الحنان ، و عطفها يفوق تخيل الإنسان إليك أمي ثم أمي ثم أمي حفظك الرحمن و أطال الله في عمرك يا أغلى من روحي .:

إلى أعز ما في الوجود إلى من كتبت إسمه بأحرف من ذهب في قلبي إلى الذي علمني أصول الحياة ، و رسم طريق حياتي ، ولولاه لما وصلت إلى ما أنا فيه إلى أحن أب في الدنيا والدي العزيز حفظه الله و أطال في عمره.

إلى من قاسموني سعادتي و أحزاني و ربطتني بهم أسمى معاني الحب و الوفاء أخوتي اللواتي ارتويت معهم نبع الحنان تحت سقف واحد أختي فاطيمةو زوجها ،إلى أختي حفيظةوزوجها وابنها المنتظر، إلى أختي أمينة وأخي الغالي مصطفى والكتكوتين الصغيرين عد القادر وصباح ، وإلى كل من يحمل لقب جبوري و قاسمي.

إلى صديقاتي أمنة،سمية،أسماء،فاطيمة، ،أمال،هاجر، إلى كل من ساعدني ولو بكلمة طيبة أمين، عبد الرحمان،كما أخص بالذكر زواوي قادة الذي كان السند من بداية إلى نهاية المذكرة حفظه الله

وإلى كل الأصدقاء الذين لم أذكرهم وذكرهم في قلبي.

إلى من قاسمتني فرحة النجاح زميلتي وصديقتي وأختي فايزة.

صـــارة

إهـــــداء

نطقت بلغة الجمال ليكون ذلك نبع الحنان لأعز الأحباب قطفت مرآى الخمائل بكل ما يزينه مما يصر النظائر، بعمق الرياحين وعطر الزهور، فكتبت الكلمات لأبر أشجى إمتناني لأترجم بها نوى الروح التي لا يقوى على وصفها أي قلم بأن أهدي عصارة جهدي في الأيام والأشهر المتواصلة. الذي زرع بداخلي حب العلم وكافح من أجلي بلغت هذه اللحظة وكان لي العون والسند في كل شيء، إلى الذي كان سببا في الوجود، ولم يبخل علينا يوما بالموجود، أبي أطال الله في عمره.

إلى الوردة التي أعيش بعطرها وأرى النور بإبتسامتها التي أرتني شعاع الحياة... وحملتني في ظلمات بطنها وأحاطتني بعطفها وحنانها، التي سهرت الليالي وتعبت في سبيل سعادتي... إلى التي ضحت وبكت لأجلي... إلى أمي ثم أمي ثم أمي أهدي لها عمري إذا كان العمر يُهدى.

أهدي ثمرة جهدي وعملي إلى كل من أكن له الحب والاحترام إلى من علمني كيف تسير الحياة، إلى من ساعدني في مشوار حياتي إلى من تعب من أجل راحتي إلى الذي لم يبخل علينا بكل ما أحتاجه منذ بداية مشواري الدراسي إليك أنت أخي العزيز محمد.

إلى شمعة حياتي ونور دربي ومهجة قلبي التي غمرتني بحبها وحنانها والتي دعمتني بنصائحها المتواصلة، إلى قرة عيني وزوجة أخي سارة.

إلى من شاركوني رحم أمي وتقاسموا معي حنان الأم وعطف الأب وقاسموني أحزاني وأفراحي إخوتي: عبد القادر، معمر،نور الدين، نصيرة، سعاد، زهرة، الزهرة والكتكوتة مغنطرية، وإلى براعم العائلة دون استثناء.

إلى من قاسمتني لحظات حياتي من الحب والألم والصداقة إلى أختي التي لم تلدها أمي صديقتي صارة.

إلى كل الذي لم أذكرهم وذكرهم في قلبي.وكل من يحمل لقب جلولي.

فايزة

فايزة

مدخـــل

مدخـــــل :

يعتبر الشعر العربي في الجاهلية من المصادر الهامة لتاريخ العرب و حضارتهم في ذلك العصر،إذ يصور لنا كثيرا من أحوال العرب الاجتماعية و الدينية كما يصور لنا طبائعهم و أخلاقهم،وكما هو معروف بأن الشعر الجاهلي هو "ديوان العرب" ،قيل قبل الإسلام بنحو مائة وخمسين إلى مائتي عام في رأي بعض المحققين الذين أشاروا إلى الشعر الناضج يعود إليها،فالشعر في العصر الجاهلي أسبق وأكثر انتشارا من النثر،لأنه يقوم على الخيال و العاطفة ،إذ كان محل افتخار بين الشعار حيث أنهم وصلوا إلى ذروة اللغة العربية من فصاحة و بلاغة، لذلك نزل القرآن الكريم معجزا لهم و متحديا لفصاحتهم على أن يأتوا بمثله.

و قد اشتمل على شعر عدد كبير من الشعراء على رأسهم شعراء المعلقات،مثل:عنترة وزهير ولبيد وامرئ القيس ،كما ضم دواوين عدد من الشعراء و الشاعرات الذي وصلنا شعر بعضهم كاملا تقريبا ،ووصلتنا شذرات من شعر بعضهم ،ويتميز هذا الشعر بجزالة لفظه ومتانة تراكيبه و احتوائه على معلومات غنية عن البيئة الجاهلية بما فيها من حيوان وطير وجماد[1] كما أنه عبر عن أحداث حياة العرب ،وتقاليدهم و معاركهم المشهورة و أماكن معيشة قبائلهم و أسماء آبار مياههم ، وأسماء فرسانهم المشهورين و محبوباتهم حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "كان الشعر علم قوم لم يكن لديهم علم أصح منه" [2]

واعتبر هذا الشعر سجلا لحياة الأمة العربية قبل ظهور الإسلام ،كما اعتمد عليه علماء اللغة في وضع قواعد النحو و الاستشهاد على صحتها،و اعتمد عليه مفسروا القرآن في بيان معاني الكلمات ،ومدى ورودها في لغة العرب،الذين كانوا بحق أمة الكلمة و المواقف ،و الفتوة و مكارم

- د السيد عبد العزيز سالم،تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام،الناشر :مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ،(دط)، ص138

[2] - محمد زغلول السلام –مدخل إلى الشعر- دراسة في البيئة والشعر، مطبعة الانتصار،الإسكندرية،مصر،(دت)،ص 127-125

الأخلاق، دون أن ننسى ما كان للإنسان العربي في الجاهلية من شخصية تظهر في شجاعته وصبره عن مساوئ الحياة و أخطارها التي عاشها ،إذ أنه كان يتصف بجملة من الفضائل و القيم يأتي في مقدمتها الكرم العربي الذي يتميز بأنه كرم لذات الكرم ، يهدف منه صاحبه مساعدة الآخرين، و إلى جانب هذه الصفة نجد العربي متصفا بالشجاعة التي لم تطن تعني التهور والطيش، بقدر ما كانت تعني الإقدام وقت الإقدام و الإحجام إذ تطلب الأمر ذلك، ومن صفاته أيضا أنه كان عصبي المزاج إذا هاج أسرع إلى السيف حتى أفنتهم الحروب وصارت نظامهم المألوف، بالإضافة إلى اتصافه بالفصاحة في البيان الذي يتبع الذكاء من لغة وحسن الجوار، أما من الناحية الخلقية فنجده يميل إلى الحرية المبالغ فيها،محبا للمساواة في حدود القبيلة.

وقد احتفى العرب في الجاهلية بالشعر والشاعر"و كان اعتزاز القبيلة بشاعرها أكبر من اعتزازها بالفارس الذي يحمي الحمى بسيفه، وهو وضع قضت به ظروف الحياة في ذلك العهد

مقدمـــة

مقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين الهادي الأمين، خاتم النبيين محمد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين الغرّ المحجلين، الأنوار التي نهتدي بها إلى مسالك الخير والصلاح إلى يوم الدين.

الشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية والصورة الصادقة لعادات العرب وتقاليدهم ومثلهم، فيه من القيم الفنية والصور الجميلة الرائعة، والمعاني الدقيقة، الموحية ما يجعله يُعدّ بحق ذروة الشعر العربي، وقد كان القدوة المُثلى التي يحتذيها الشعراء في العصور الأموية والعباسية يسعون إلى تقليده ومحاكاته وقد بقي أثر الشعر الجاهلي واضحا في شعر العصور المتأخرة ومازال له سلطانه في نفوس قارئيه لما فيه من أصالة وجمال في التعبير ودقة في المعاني ونضج فني وموسيقي ولغوي كبير.

والشعر الجاهلي قديم موغل في القدم، حيث أنه لاتبد أن يكون للشعر تاريخ طويل قطع فيه أشواطا من الصناعة والدربة حتى استقام وكمل هذا الشكل الموزون المُقفى،وأن المعلقات التي بلغت المرتبة الكبيرة من النّضج الفني، ونالت إعجاب القدماء والمحدثين، كانت نتيجة دربة ومِران طويل في صناعة الشعر. و لم يكن هذا الفن الكلامي عمل فرد أو بضعة أفراد، بل كان عمل أجيال متعاقبة وجد بعض أبنائها في أنفسهم المقدرة على صوغ أفكارهم وإحساساتهم في الألحان والأوزان، تهتز لها النّفس وفق ما تعارف النّاس في التعبير اللغوي.

فلا ريب في أن كل أمة من الأمم على وجه الأرض تختزن في وجدانها مفاهيم إجتماعية تتوافق مع درجة تطور هذه الأمة، ومع العصر الذي تعيش فيه، والأمة العربية التي أفرز عصرها الجاهلي بطبيعته البدوية مجموعة من القيم التي تمسك بها العربي ودافع عنها، بل وكانت الناظم لحياته ولعلاقته مع الآخرين. فموضوع الشعر الجاهلي موضوع رحب، تخيرنا منه موضوع القيم في الشعر الجاهلي والتي كانت مثار للقراءات وشعلة للدراسات، وقد اخترنا للمذكرة عنوانا موسوما ب:"القيم الإنسانية في العصر الجاهلي" وتخيرنا لامية الشنفرى أنموذجا لموضوعنا و تضمن بحثنا

إشكالية: فيما تتمثل القيم الإنسانية في العصر الجاهلي؟ أو بأسلوب آخر، فيما تجلت هذه القيم؟ والتفاتتنا هاته مردّها إلى عوامل:

-ما حمله إلينا الشعر الجاهلي من أيام العرب وأحوالهم، وتقاليد العروبة التي تربو في ظلالها، والتي ورثوها عن أسلافهم الأمجاد، وكذا اهتمامنا الخاص بهذا الشعر الذي هو حجر الأساس في صرح الأدب العربي.

-خصوصية الشعر وما يزخر به من القيم الأخلاقية والإنسانية، اعتمدها الشعراء عاملا في التباهي والفخر.

-شعر الشنفرى الذي يمتاز بغنى النفس والحكمة والكرم والشجاعة ...وغيرها من القيم.

لقد انتظمت دراستنا في فصلين، تسبقهما مقدمة ومدخل وتعقبهما خاتمة. سلّط المدخل الضوء على الشعر الجاهلي كنبذة، وخصائصه وقيمته الفنية، متطرقين إلى شخصية الإنسان العربي.

وتناولنا في الفصل الأول المعنون ب **الشعر الجاهلي وقيم الحياة الجاهلية**، وقد اشتمل على خمسة مباحث، المبحث الأول: مصادر الشعر الجاهلي وقد استعرضنا من خلاله المعلقات، المفضليات ، الأصمعيات، جمهرة أشعار العرب و دواوين الحماسة. وتضمن المبحث الثاني ماهية القيم الإنسانية تناولنا فيه النزعة الإنسانية في الأدب العربي كما تطرقنا إلى صفات العرب في العصر الجاهلي من الكرم، والشجاعة، والعفة، والوفاء، والحلم. وكان المبحث الأخير من الفصل الأول حول الشاعر وقيم الحياة الجاهلية.

وحمل الفصل الثاني عنوان **القيم الإنسانية وتجلياتها في لامية العرب** وتشظى في ثلاثة مباحث، الأول الشخصية الصعلوكية واختص ببيان حياتهم وأسباب الصعلكة لديهم وأيضا الموضوعات التي طرقها الصعاليك، أما المبحث الثاني فكان مخصصا حول نسب الشاعر الصعلوك الشنفرى، وأخذنا عنوان الشنفرى والصعاليك كمبحث ثالث ربطنا فيه بين المبحثين السابق

ذكرهما .وجاء المبحث الرابع خصصناه للتعريف بلامية العرب ثم اِنتقلنا إلى دراسة القيم الإنسانية المتجلية فيها كمبحث خامس.

ثم أتينا بكلمة ختامية لهذه المذكرة تضمنت أهم نتائجها، وأردفناها بفهرس للمصادر و المراجع.

وككل باحث تواجهه صعوبات في إنجاز بحثه، حيث صادفتنا جملة من الصعوبات التي لم تُنقص من عزمنا بل حفزتنا على بذل جهد أكبر من أجل تقصي الحقائق، وهذا وفق ما يقتضيه البحث العلمي، إضافة إلى قلة المصادر التي تلم بالمادة البحثية.

وفي الختام نسأل الله العزيز أن يوفقنا في إنجازنا المتواضع هذا ونحمده ونشكره بما أنعم علينا من نعمة الصبر والمطاولة حتى تمكنا من إكماله، فنرجو أن نكون قد وفيناه، فإن وفقنا فمن الله وحده، وإن كان غير ذلك فمن أنفسنا والشيطان، ونسأل الله السداد والرشاد، إنه سميع مجيب.

الفصل الأول:

الشعر الجاهلي وقيم الحياة الجاهلية

مصادر الشعر الجاهلي:

على الرغم من أن الشعر الجاهلي تعرض للضياع بتركه يتناقل على ألسنة الرواة شفاها نحو قرنين من الزمان إلى أن دون في تاريخ متأخر و على الرغم من أن ما وصلنا منه على قلته مشكوك في أصالته منحول عليه [1]،لعوامل دينية وسياسية و جنسية،فان ما وصلنا في الشعر العربي الجاهلي، منحولا أو أصيلا،يعتبر مصدرا أساسيا لتصوير حياة العرب في الجاهلية،ذلك أن القائمين بتزييفه ونحله كانوا يحرصون على أن يقلدوا خصائص الشعر الجاهلي المعنوية واللفظية في مهارة وحذق لدرجة أن الناقد كان يصعب عليه أن يفرق بين القول المزيف و قول الجاهلي [2] و على هذا النحو فالشعر المنحول يدل من حيث تصويره للحياة في العصر الجاهلي .

كما أن علماء الكوفة والبصرة اهتموا برواية الشعر الجاهلي و جمع مادته الغزيرة تارة في منتخبات عامة (كالمعلقات) وتارة أخرى في دواوين مفردة للشعراء والقبائل(كأشعار الهذليين) وقد عنى لنا أن نبدأ هذا الفصل بالتعريف بأهم مصادر الشعر الجاهلي مع التنبيه بأن مصنفات أخرى ككتب التراجم، والنقد، والتاريخ واللغة عنيت به وأوردت نماذج منه وأخبار مهمة عن شعرائه.

❖ – **المعلقات**: هي مجموعة من القصائد الطوال الموثوق بصحتها —أصغرها معلقة عبيد بن الأبرص في خمسين بيتا و أطولها معلقة عمرو بن كلثوم في ثلاثمائة بيت — حيث بلغ كلف العرب إلى تعليقها على أستار الكعبة، كما زعم ذلك ابن عبد ربه الأندلسي وابن رشيق القيرواني وعبد الرحمان بن خلدون ولكن أبا جعفر النحاس أنكر هذه القصة في شرحه للمعلقات واحتج بأن حماد الراوية هو الذي جمعها ورواها في ديوان خاص بها وسماها المشهورات أو القصائد المشهورة.

❖ **المفضليات** : هي ثاني مجموعة من المنتخبات الشعرية، جمعها راوي الكوفة الثقة المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ت(786) وحملت اسمه.وتتألف المفضليات، حسب ما جاء في قول ابن

[1] - طه حسين، في الأدب الجاهلي، القاهرة، 1927، ص64.

[2] - د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ص38-39

النديم في الفهرست من مائة وثمانية وعشرين قصيدة، وقد تزيد أو تنقص،[1] وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي – تلميذه و ربيبيه– ولكن ابن الأنباري نقص منها اثنتين في شرحه (126مفضلية) وزاد المحققان أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون أربع قصائد وجدت في بعض النسخ، فبلغ عددها بذلك ثلاثين ومئة مفضلية (2827ب) ليست كلها من اختيار المفضل الضبي نفسه.وتضم المفضليات واسمها الأصلي كتاب الاختيارات، مقطوعات شعرية وقصائد كاملة في أغلب الأحيان لثلاثة وستين شاعرا منهم تسعة و خمسون جاهليا و مخضرما عاشوا ما بين 550الى 650 للميلاد – يتقدمهم تأبط شرا، و الكحلبة العرني و الجميع ألأسدي ،نشرت المفضليات جزئيا.

❖ – **الأصمعيات**: إنها ثالث مجموعة اختار قصائدها الراوي البصري عبد المالك ابن قريب الباهي وسميت باسمه وتحتوي الأصمعيات على اثنين وتسعين قصيدة و مقطوعة منسوبة في معظمها الى شعراء جاهليين و مخرمين و تعتبر الأصمعيات في نظر العلماء المتقدمين والنقاد المحدثين أدنى قيمة من المفضليات لاحتوائها على القليل من الغريب و احتصار صاحبها لرواية الأشعار المنتقية و هي في الحقيقة تكملة للمفضليات وان لم تحظى مثلها باهتمام الشراح.

❖ – **جمهرة أشعار العرب**: هي رابع مجموعة جمع فيها أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القريشي،عيون أشعار العرب في الجاهلية و الاستلام،وقسمها بعد مقدمته عن فائدة الشعر و رأي الرسول و في شعرائه الى سبعة أقسام متساوية، في كل قسم سبع قصائد لسبع شعراء يربطهم عنوان واحد.

❖ –مختارات ابن شجري: هي خامس مجموعة التقى أشعارها من الجاهلية والإسلام الشريف أبو سعادة هبة الله ابن الشجري و سماها ديوان مختارات شعراء العرب وتنقسم إلى ثلاثة أقسام غير متساوية حيث تشتمل الأولى على اثنتي عشرة قصيدة مختارة من ديوان المتلمس والثاني يتضمن مختارات من دواوين زهير أما الثالث فهو خاص بالحطيئة.

[1]-مونسي مصطفى،عبيد الله محمد، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر، 2013-2014، ص 6 .

❖ **دواوين الحماسة**: يمكن اعتبارها من صنف المختارات الشعرية ذات القيمة الأدبية بالدرجة الأولى ،و أقدم الحماسات :حماسة الشاعر أبي تمام.

❖ –الدواوين الشعرية: هي دواوين المفردة التي ألفها علماء العراق على رأسهم السكري في القرن التاسع ميلادي، حيث اعتمدوا على الروايات الصحيحة، فجاءت في حجم ضئيل أطولها كدواوين الشعراء الستة[1]

القيم الإنسانية :

تغنى شعراء الجاهلية بمجموعة كثيرة من القيم تصور المفاهيم الفاضلة التي كانت عرضة لكثير من الباحثين و المفكرين فالحلم، و الكرم، و الوفاء، و الشجاعة، و الصدق، و الدفاع عن حمى القبيلة، و حماية الجار، وسعة الصدر، والإعراض عن الشتم، والغض عن العورات و نجدة المحتاج والملهوف، قيم تغنى بها العرب و خلدها في شعره و نثره.

ماهية القيم الإنسانية:

إذا ما أردنا أن نتعرف على القيم الإنسانية بصفة عامة نجدها تُعرَّف على أنها القواعد المؤسسة للمنظومة الأخلاقية المتكاملة، والتي تعارفت عليها الفطر الإنسانية السليمة، والتي رُسِّخَت، وتم تأكيدها من الديانات، والأفكار الإصلاحية، و الأعمال الفنية، والأدبية العظمى، تظهر القيم الإنسانية على أرض الواقع، من خلال التعاملات اليومية بين الناس، وهي تضم طيفا واسعا من القيم والأخلاق الحميدة، كالصدق،الأمانة، التعاون على الخير،وحب الآخرين، مساعدة المحتاجين، المودة، الاهتمام بالناس، تفقد الضعفاء، وإرساء العدالة، وما الى ذلك، ومن هنا فإنه لا يمكن لأي إنسان عاقل أن ينكر إحدى هذه القيم، وإلا أثبتت وبما لا يدع مجالا للشك أنه أبعد ما يكون عن الإنسانية.

[1]- زبير دراقي،المفيد الغالي في الأدب الجاهلي،ديوان المطبوعات الجامعية، ص 130-133

النزعة الإنسانية في الأدب العربي:

لعل أبرز ما يميز الإنسان هو وجود الفِكّر المجردة و الخلقية و الروحية فيه، وهو وإن فخر فإنما يفخر بها، إذ أن حقيقة وجودها لا تقل أهمية عن حقيقة وجوده، والتي تعطي لهذا الوجود قيمته، ومن ثم إذا أردنا أن نعطي لهذه الحياة معنى، فيجب أن نعيد لهذه الفكر القيمة العلمية والعقلية، وهكذا يكون مفهوم "النزعة الإنسانية" منحى نحو تطوير إنسانية الإنسان، ودالا على: المنحى الفكري الأساسي في نظرية أو نظام فلسفي أو تيار أو مذهب أو حركة، فالإنسانية تدل على ما اختص به الإنسان من الصفات، وكثرة استعمال هذا اللفظ في اللغة العربية إنما هو للمحامد. فالنزعة الإنسانية في سياقنا هاهنا تعني القيم المنتزعة من تجارب الناس بهدف إقامة علاقات إنسانية قائمة على العدل والتآلف. وهي في أحد معانيها: فلسفة تؤكد قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق الذات باعتماد العقل.

أهم شيء في النزعة الإنسانية التسامي والسعي إلى إعلاء الفكر الإنساني. ويعدّ الفكر الحر جزءا أصيلا من النزعة الإنسانية، والمساواة غايتها الرئيسية، وقد تعددت دلالات هذا المصطلح عبر العصور، وتغيرت أحيانا بتغير الزمان والمكان. فمن ينظر في الأدب العربي باحثا عن النزعة الإنسانية فيه قديما وحديثا، يجد أن هناك تباينا في حضور النزعات الإنسانية بين الادب القديم والحديث، وقد استدعى هذا التباين مجموعة من المعطيات، منها:

- طريقة الحضور.
- اختلاف الثقافة وتنوعها وتطور مرجعياتها عبر العصور.
- اختلاف النظرة الى الأشياء واختلاف طريقة فلسفتها.
- تطور مفهوم الأديب والشاعر الذي ارتبط أخيرا بالثقافة والفكر والموقف، وبأنه من النخبة الطليعية التي لابد أن تدلي بدلوها في قضايا المجتمع.

إذا ماعدنا إلى المجتمع الجاهلي نجده لم يخلو من قيم إنسانية جليلة: كان فيه الشجاعة الفائقة، والبطولات الرائعة في القتال، حتى إن الموت حتفَ الأنف كان عارا ما بعده عار.

وكان هناك الكرم الفائق، فقد حكى الحطيئة- في قدرة فنية لافتة- قصة كرم رائعة في قصيدته الميمية المشهورة التي مطلعها:

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل

ببيداء لم يعرِفْ بها ساكنٌ رَسْمَا

وتحكي قصة بدوي فقير انقطع في خيمته بأبنائه في الصحراء، طرَقه ضيف ذاتَ ليل بهيم، فاستبد به الأسى والحزن؛لأنه لا يملِك ما يُكرِم به ضيفه، فأشار عليه ابنه أن يذبحَه ويقدِّم لضيفه من لحمه طُعمًا، وهمّ الأب بذبح ابنه، ولكن ظهر من بعيد قطيع من حمار الوحش، انطلق الأب البدوي إليه وصاد منه

فخرَّت نحوصٌ ذات جحش سمينة

قد اكتنَزَتْ لحمًا، وقد طبقت شحمَا

وأكلوا وشربوا:

وباتوا كرامًا قد قضَوا حقّ ضيفهم

وما غرموا غُرمًا، وقد غنموا غنمَا

وبات أبوهم مِن بشاشتِه أبًا

لضيفهم والأمّ من بِشرها أمَّا

والقصة – وإن غلب عليها الخيال، وظهر فيها بصمات قصة الذبيح إسماعيل – تصوِّر مدى حرص العربي على إكرام الضيف، وخشيته المعرة إذا ما ردَّ ضيفه بلا إطعام.

صفات العرب:

➢ **الكرم**:كان العربي في أوقات السلم سخيا يبالغ في كرمه و يستهين في ذلك بالمال، فهو يعتبر الكرم احدى مظاهر التسيد، و في ذلك يقول حاتم الطائي:

يقولون لي أهلكت مالك فاقتصد*** وما كنت لولا ما تقولون سيدا[1]

وكان لعبهم بالميسر منبعثا عن السخاء و الكرم، فان أثرياءهم كانوا في شدة البرد و كلب الزمان ييسرون بالقداح على جزور يجزؤونها، فاذا قمر أحدهم جعل أجزاء الجزور لذوي الحاجة و الفقراء، و كان الشعراء يمدحون من يأخذ القداح، ويعيبون من لا ييسر و يسمونه البرم، وفي ذلك يقول لبيد بن مالك:

وجزور أيسارٍ دعوت لحتفها *** بمغالق متشابه أجسامها

أدعو بهن لعاقرٍ أو مطفلٍ *** بذلت لجيران الجميع لحامُها

فالضيف و الجار الجنيب كأنما*** هبطا تبالة مخصبا أهضامُها[2]

فالشاعر يشير الى جزور مما يذبح أصحاب الميسر دعا بدماءه لنحرها بسهام الميسر، حتى يبذل لحمها للجيران، فيشبعون كأنهم نزلوا بوادي تبالة ذي السهول الخصيبة.

ويتجلى كرمهم في الاحتفاء بالضيف والترحيب به، وفي اكرام الأرامل واليتامى والسائلين اذا ما اشتد البرد، وشح المطر، و لم يجد الناس طعاما، وفي ذلك تقول الخنساء:

وإن صخرًا لكافينا وسيدُنا *** وإن صخرا اذا نشتو لنحار

وقال مضرس بن ربعي:

وإني لأدعو الضيف بالضوء بعدما

[1]- د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام، ص389.
[2]- المرجع نفسه.

كسى الأرض نضاحَ الجليدِ وجامده

أبيت أعشيه السديفَ وإنني

بما نال حتى يترك الحي حامده[1]

وكانوا يتباهون بكثرة الأضياف، فيسعون الى اجتذابهم في الليالي الباردة بابقاء النار حتى يراها المسافر فيقصدها، كذلك كانوا يجتذبون الضيف بنباح الكلاب، وفي ذلك يقول شريح بن الأحوص:

ومستنبحٍ يبغي المبيتَ ودونه *** من الليل سجفا ظلمةً و ستورها

رفعتُ له ناري فلما اهتدى بها*** زجرتُ كلابي أن يهر عقورَها[2]

و كان من دواعي الهجاء عند شعراء الجاهلية إطفاء النار عندما تستنبح الأضياف الكلاب، و يعبر عن ذلك الأخطل في هجائه لجرير بقوله:

قومٌ اذا استَنبحَ الأضيافُ كلبَهم*** قالوا لأمِهم بولي على النار[3]

و ممن اشتهر بالجود والكرم وضرب به المثل في السخاء حاتم الطائي، و هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، أحد شعراء الجاهلية،و كان يعتز بأنه عبد للضيف، وفي ذلك يقول:

وإني لعبدُ الضيف ما دام ثاويا*** وما في إلا تلك من شيمة العبد[4]

و في شعر له يعد غلامه بعتقه إذا جلب ضيفا، فيقول:

أوقد فإن الليل ليل قمر *** والريح يا واقد ريح صر

عل يرى تارك من يمر*** إن جلبت ضيفا فأنت حر[5]

[1]-الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب،ج1، القاهرة 1924، ص62.
[2]- المرجع نفسه، ص 66.
[3]-د.محمد حسين: الهجاء والهجاءون في الجاهلية، بيروت، 1960، ص40.
[4]-الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ص75.
[5]- المرجع نفسه، ص 78.

و منهم كعب بن مامة الإيادي الذي اقترن اسمه بحاتم الطائي في قول القائل:

كعب وحاتم اللذان تقسما*** خطط العلا من طارف وتليد[1]

و منهم أوس بن حارثة بن لام الطائي، و هرم بن سنان، و عبد الله بن حبيب العنبري، و عبد الله بن جدعان، و قيس بن سعد.

- **الشجاعة:**

اتصف العرب بالشجاعة والبأس وعدم المبالاة بالموت، إما دفاعا عن ذمار القبيلة التي ينتسبون إليها أو ذبا عن الحريم وصونا لهن من المهانة وذل السبي. وعرب البادية كانوا أكثر شجاعة من أهل المدن، و السبب في ذلك كما يذكر ابن خلدون "أن أهل الحظر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة، و انغمسوا في النعيم والترف، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم، و الحاكم الذي يسوسهم، و الحامية التي تولت حراستهم، و استناموا الى الأسوالر التي تحوطهم، والحرز الذي يحول دونهم، فلا تهيجهم هيعة،و لا ينفر لهم صيد، فهم غارون آمنون قد ألقوا السلاح، و توالت على ذلك منهم الأجيال... وأهل البدو بتفردهم عن المجتمع و توحشهم في الضواحي، و بعدهم عن الحامية، وانتباذهم الأسوار والأبواب، قائمون بالدفاع عن أنفسهم، لا يكلونها إلا سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم. فهم دائما يحملون السلاح، و يتلفتون عن كل جانب في الطرق، و يتجافون عن الهجوع إلا غرارا في المجالس وعلى الرحال، وفوق الأقتاب و يتوجسون للبنات والهيعات، و يتفردون في القفر والبيداء، مدلين ببأسهم،قد صار لهم البأس خلقا، والشجاعة سجية، يرجعون اليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ"[2]

ليس أدل على صدق ما ذكره ابن خلدون من أن قريشا عندما أثرت بسبب التجارة انصرفت عن شؤون الحرب،و البدو يحقرون التجارة بطبيعتهم فصاروا يعيرونها بهان وطارت لهم أشعار في ذلك منها ما يحقر التجارة ومنها ما يقصد الى قريش،و من هنا كانت استهانة بعض العرب بقريش

[1]- المرجع نفسه،ص 82.

[2]- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون،تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، القاهرة 1957، ج2، ص 218-419.

وعدم الهبة منها لانكبابها على التجارة و انصرافها عن الحروب من دون سائر العرب. فالمكان الأول عند العرب للفارس المقاتل و للشجاع الباسل، أما حياة الخمول و الحياة التي لا تكلف صاحبها أخطار المغامرة هي للسوقة. و يعير الأعشى عن ذلك، إذ يعير إيادا بأنهم زراع، بقوله:

لسنا كمن جعلت إياد دارها *** تكريت تنظر حبها أن يحصدا

قوما يعالج قملا أبناؤهم *** و سلاسلا أجدا وبابا مؤصدا

جعل الإله طعامنا في مالنا *** رزقا تضمنه لنا لن ينفذا

مثل الهضاب جزارة لسيوفنا *** فإذا تراع فإنها لن تطردا[1]

و ممن اشتهر بالشجاعة من العرب خالد بن جعفر بن كلاب العامري، وعتيبة ابن الحارث، وعنترة العبسي، و زيد الخيل، و عامر بن الطفيل، و عمرو بن معد يكرب، وعمرو بن كلثوم

- **العفة:**

إذا كان قد وجد العرب في الجاهلية من انغمس في الملذات و تغزل في النساء غزلا بعيدا عن البراءة، فقد كان من العرب من اتصف بالعفة، و غض النظر عن نساء غيره، و كانت العفة من شروط السيادة كالشجاعة و الكرم، و كانوا يفتخرون بالعفة و يمدحون بها، فهذا عنترة بن شداد يقول:

و أغض طرفي ما بدت لي جارتي ***حتى يواري جارتي مأواها

ورثت الخنساء أخاها صخرا فنوهت بعفته وغضه الطرف عن النساء فقالت:

لم تره جارة يمشي بساحتها *** لريبة حين يختلي بيته الجار[2]

- **الوفاء:**

عرف العرب بالوفاء بالعهود، و بكراهية النكث و الغدر، وضربوا المثل في الوفاء بالسموأل الذي أبى أن يسلم الحارث بن أبي شمر الغساني دروع امرؤ القيس التي أودعها عنده،و تحصن في

[1]- محمد حسين،الهجاء الهجاؤون،ص 85.

[2]- الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، القاهرة،1949، و طبعة 1956.

قصره بتيماء،فهدده الحارث بقتل ابن له، فلم يزد ذلك السموأل إلا إصرارا، فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف،و في ذلك يقول السموأل:

وفيت بذمة الكندي إني *** إذا ما ذم أقوام وفيت

و قصة وفاء هانئ بن مسعود الشيباني لودائع النعمان معروفة، وقد أدى وفاؤه إلى قيام الحرب بين العرب و الفرس في ذي قار.كذلك ضرب المثل بوفاء حنظلة بن عفراء، إذ حكم عليه المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء بالموت،لأنه مر بالحيرة في بعض أيام بؤسه،فتكفل به شريك بن عمرو لمدة سنة اذا لم يعد بعدها قتل مكانه، ولما انتهى الأجل المحدد،و أعد كل شيء لقتل شريك بن عمرو مكان حنظلة،و أيقن القوم بهلاك شريك، أقبل حنظلة من بعيد و معه نادبته،فتعجب المنذر من وفائه،فأطلق سراحه وعفا عنه[1]

- **الحلم:**

هو الصفح و الطمأنينة والأناة والتعقل،حيث أنه يرتكز على بعد إنساني في المعالجة، كالذي فعله الحارث بن وعلة الذُهلي عندما قتل أحد أبناء عمومته أخاه، وجيء بالجثة والقاتل ليقتص منه، فبرز عنده الحس الإنساني، وأدرك أنه إن قتل القاتل فسيزداد خسارة بفقد قريب آخر،فاختار الصفح وقال:

قومي هم قتلوا أميم أخي *** فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفونّ جَللا *** ولئن سطوت لأوهنَنْ عظمي

و نلاحظ أن المهلهل يوصي أخاه كليب وينصحه بالحلم، عندما نشبت بينه وبين جساس قال:

فأخره إن الشر يحسن آخرا وقدم فإن الحر للغيظ كاظم[2]

[1]- د. السيد عبد العزيز سالم،تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام،ص 393.
[2]- أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: محمد حسن نقش، دار الغرب الاسلامي، 1991،ص 623.

يوصيه أن يعتصم بالحلم و يجعله هو المهم لأنه صفة متميزة لا يحسن صنيعها إلا من كان ظافرا بالصبر و احتمال المكاره.

الشاعر وقيم الحياة الجاهلية:

اتخذ الجدل بين الشاعر الجاهلي و الزمان وبينه وبين المكان طابعا وجوديا فالشاعر قد صاغ قضايا الزمان والمكان من خلال وجوده الخاص و إحساسه بالتناهي إزاء لا تناهي الزمان والمكان و قد أثرت رأيته على سلوكه الاجتماعي، و على تشكيلة للقيم وموقفه من المجتمع والحياة.

فالشاعر فرد متميز و لهذا فانه يعكس في شعره رؤية خاصة من المجتمع، لكن الشاعر عضو في المجتمع تشكلت رأيته من خلال المقولات و قيم اجتماعية، و من هنا كان موقف الشاعر تمثيلا لموقف المجتمع من نفسه،أو موقف الضمير من الإنسان "فالعمل الفني إذا هو نتيجة مجهود فردي، و لكن حصيلته الشعرية والفكرية مستمدة من علاقة الفنان بالمجتمع الذي يعيش فيه"[1]

و من هنا يتميز موقف الشاعر عن المجتمع بالخصوصية و الشمولية معا. فانه "لا يستطيع أحد أن ينكر أن أي أديب لا بد يستوحي مضمون أعماله من ظروف المجتمع الذي يعيش فيه، و يتأثر بأحواله و ملابساته في أثناء قيامه بعملية الإبداع الفني، ذلك أن الأديب —و هو الضمير الواعي لمجتمعه– لابد أن يبلور وجدانه، و يرى ما لا يراه الشخص العادي"[2]

كما أن الشاعر لا يبدأ عمله من فراغ، لأن نظره إلى عالم الشعر، وما فيه من أنماط فنية ومعنوية،و إلى واقعه وما يموج من تيارات و قيم. و إذا كان التقليد هو أول خطوات الفنان، فان

[1]- د. عز الدين إسماعيل، الشعر في إطار العصر الثوري،دار غريب، القاهرة، مصر، ط4، ص21.
[2]-د.نبيل راغب، التفسير العلمي للأدب، نحو نظرية عربية جديدة، المركز الثقافي الجامعي،1980،ص 137.

الشاعر غالبا ما يبدأ بالحديث عما تحدث عنه سابقوه بأسلوب يقترب من أسلوبهم و بأفكار قريبة من أفكارهم.

كان للمجتمع الجاهلي قيمه التي تعبر عنه،و كان له قيمه التي حاول مفكروه أن ينسبوها له، و يعمقوها في وجدان أبنائه ووعيهم،و لهذا فليس كل ما لهج به الشعراء يمثل قيما أصيلة في ذلك المجتمع لأن كثيرا من هذه القيم التي نراها في الشعر الجاهلي قيم منشودة، فهي تبدو و كأنها من إبداع الشعراء و صنعهم.يقول روث بندكت"إن المجتمع ليخلق الفرد على صورته و مثاله، لكن الفرد أيضا يمحور مجتمعه و يطوره ويشكله و يعدله"[1]

فالجدل القائم بين الفرد والمجتمع يقوم على التأثير و التأثر و التفاعل الخلاق، فكما أن المجتمع يؤثر في أفراده و يوجههم توجيها خاصا من أجل الغايات القريبة و البعيدة، فان الأفراد هم الذين يقودون المجتمع و يعمقون من وعي الجماعة بالقيم و المثل والأعراف، فالإنسان لا يقف عند حد الوعي بوجوده في تغيير هذا الوجود"[2]

لهذا فان "تشكيل الفنان يفصح عن موقفه من تاريخ جماعته من الماضي، و من تناقضاتها الحالية- إذا صح في العمل الفني التشكيل و الموقف- فان هذا يعني اتحاد الجمال بالأخلاق لدى الفنان"[3]

الفنان في هذه المواجهة قد يرتبط بمثل الجماعة،و قيمها الحالية أو الماضية في مواجهة تحلل الجماعة من هذه الأعراف و المثل، و في مواجهة ما يمكن أن يسمى بحركة التغيير، أو بقيادة هذا التغيير و الدعوة إليه، و هو ينطلق في هذا من خلال ما أتيح له من ثقافة، و ما تمخض عنه جدله مع وجوده وواقعه من قناعات تمثل إطارا لرؤيته الشعرية و موقفه الإنساني.

[1]- زكريا إبراهيم:مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، 1997،ص 175.
[2]- أرنولد هوسر: فلسفة تاريخ الفن،ترجمة رمزي عبده جرجس- مراجعة د زكي، نجيب محمود، سلسلة الألف كتاب،مصر 1968، ص 47.
[3]- عبد المنعم تليمة: مداخل إلى علم الجمال الأدبي، دار الثقافة بالقاهرة، 1978 ، ص67.

لهذا لم تكن المعاني التي دارت على ألسن الجاهليين تمثيلا دقيقا لذلك المجتمع، فقد كان للشعراء دور بارز في تعميق بعض المعاني و القيم،و الدعوة إلى قيم جديدة، و إحياء بعض القيم التي اندثرت أو كادت تندثر، وهم في تشكيلهم لرؤيتهم لم يكونوا بعيدين عن المجتمع، مقطوعي الصلة عنه، و إنما كانوا متفاعلين معه، معبرين عن حاجات اجتماعية ظاهرة وخفية.محاولين أن يقيموا لهذا المجتمع الصورة المثلى، أو مشاركين في إبداع هذه الصورة، و الدعوة إليها، و التبشير بها.

إذا كان المجتمع الجاهلي مجتمعا رعويا ديدنه التنقل، فانه مما لا شك فيه أنه قد تأثر بحضارات أخرى،من تلك الحضارات المجاورة.و الفنان أقدر من غيره على نقل القيم و الإشادة بالأنماط الجديدة من السلوك، و هو أيضا أكثر الناس قدرة على نقد بعض الأنماط و الأعراف التي لا تتفق مع حاجة مجتمعه،و مع رؤيته الخاصة،"إن حساسية الشاعر تمكنه من الالتفات إلى ما لا يلتفت إليه الجمهور،كما تمكنه من الكشف عن جوانب إنسانية لا تبرر عادة إلى مستوى الوعي العادي"[1]

فليس الشعر مجرد تصوير للحياة و ما فيها من مثل وقيم و أنماط سلوكية"وإنما يعتبر كل أثر فني، إن في قليل أو كثير نقدا للحياة، و محاولة لإنقاذها من هوش تكوينها و إمدادها بقسط أكبر من التناسق و الوضوح،إن لم يكن من الكمال" [2].كانت إشادة الشعراء بمفاخرهم و مفاخر قبائلهم.و ما امتازوا به من فضائل- تشكل ملامح الرؤية الشعرية عند هؤلاء الجاهليين،فالتغني بهذه الفضائل يمثل دعوة ضمنية إلى اكتسابها،و التغني بالقيم يمثل أيضا دعوة لترسيخها،و تعميقها، والتنبيه إليها.

كما أن الشعراء الجاهليين أشادوا بالفضائل و القيم في معرض حكمتهم وتأملهم الذاتي.والذي نلاحظه أن الشعراء في هذه التأملات و الوصايا كانوا على وعي بضرورة الارتباط بالقبيلة والعيش في إطار ما ارتضته من مثل وقيم،أو بتعبير أدق في إطار ما ارتضاه حكماؤها ومفكروها

[1]- جابر عصفور : الصورة في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة بالقاهرة،1978، ص274.
[2]- أرنولد هوسر : فلسفة تاريخ الفن، ص119.

وشعراؤها، و قد كان بعض الشعراء خطباء وحكماء كذي الإصبع العدواني وقس بن ساعده،و لكنهم في بعض الأحيان تجاوزوا القيم الاجتماعية إلى أفق إنساني، حين تغنوا بقيم إنسانية ذات طابع شمولي.

الذي يلفت نظرنا أن نموذج الرجل في الشعر الجاهلي يبدو معنويا أكثر منه نموذجا حسيا، ويبدو الفرد و كأنه جملة من القيم و الأفعال و الصفات التي اتصف بها و التي يمثل لها. يقول المهلل بن ربيعة:[1]

وَحَادتْ ناقتي عن ظِلِّ قبرٍ ثَوَى فيه المكارمُ و الفَخَارُ

و يتكرر هذا المعنى في الحديث عن القبر حيث نرى الشاعر يقرر أن ما دفن في القبر ليس مجرد جسد و إنما هو جملة من القيم و الصفات والأفعال.

تقول الخنساء:[2]

فيا أرض ماذا وعيتِ النّدى***بِصَخْرٍ بنِ عَمْرٍو وَفِيمَنْ تَعِينا

تَعِينَ من السؤددِ المُسْتَرى*** وبَنْيِ المكارِم لو تَعْلَمِينَا

فالأرض التي ضمت صخرا و غيره قد ضمنت بشخصهم الشرف والمكارم؛ فالشاعر يضع القيم والمبادئ والأخلاق في مقدمة اهتمامه.

يقسم الفلاسفة الأخلاق إلى أخلاق مغلقة تعبر عن خضوع الفرد لقسر الجماعة، والأخلاق المفتوحة تعبر عن استجابة الفرد لنداء الحياة الصاعدة، فنحن هنا ضمن أخلاق إنسانية تدعونا إلى تجاوز حدود الجماعة و التعلق بواجبات سامية تجهلها الأخلاق الاجتماعية كالمحبة و التضحية وبذل الذات و ما إلى ذلك " فهي أخلاق حركية مفتوحة لا تنتشر إلا عن طريق محاكاة الأفراد لنموذج فردي يعجبون به و ينجذبون إليه، و يعني هذا أن الأخلاق الإنسانية لا تقوم إلا استجابة

[1]- المرجع نفسه،ص 119.
[2]- الخنساء، ديوانها الشعري، تحقيق:عبد السلام الخوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 243/242.

لنداء البطل "[1] و لهذا نستطيع أن نقول إن القيم التي تنحصر في إطار الجماعة وتعمل من أجلها فقط على حساب الجماعات الأخرى ،هي قيم اجتماعية ليس لها طابع الشمول، فالنصرة تتخذ وجهين:

الأول:ينضوي تحت الأخلاق المغلقة، حين تكون النصرة متجهة تلقائيا نحو نصرة أبناء القبيلة دون النظر لدواعي هذه النصرة، و التأكد من سلامتها، ومن جهة نظر إنسانية تتصل بالعدل و المحبة و المساواة و الإنصاف.

أما الوجه الثاني، فانه يمكن أن يكون خلقا إنسانيا حين يتصل بالقيم المشار إليها، فلا نكتفي بنصرة أبناء مجتمعنا، بل نتجاوز ذلك إلى نصرة الإنسان بعامة في إطار الحق.و هذا الوجه الإنساني للأخلاق هو الذي نجده في التصور الإسلامي للنصرة و لغيرها من القضايا.

لا يصبح هذا خلقا إنسانيا إلا إذا كان سلوكا متواترا يسلكه الإنسان أو المجتمع، بوعي في كل المواقف التي تستدعيه، أما إذا كان مجرد نزوة، أو خروجا عن المألوف- فانه موقف إنساني، لا خلق إنساني.

لقد عاش الشاعر الجاهلي مترددا بين نصرة قومه التي تفرضها عليه العصبية القبلية و الضرورات الاجتماعية، وبين نصرة الإنسان بعامة، وعلى الرغم من أن الشاعر كان على وعي بضرورة تجاوز إطار القبيلة، فانه ظل في أكثر الأحيان منحصرا في إطار القيم القبلية،وان رأيناه يتجاوز- أحيانا – أطر القبيلة إلى مستوى إنساني رحيب.لقد كان الشعراء على وعي"بأن المجتمع هنا بمثابة الحقيقة العليا التي لا نستطيع أن نعيش بدونها"[2]

يقول عبيد بن الأبرص:[3]

[1]- أرنولد هوسر: فلسفة تاريخ الفن،119.
[2]-- زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، 1997، ص 162.
[3]- عبيد بن الأبرص، ديوانه- تحقيق سير شارلس ليال، دار المعارف بمصر، ص 29-30.

إذا كنتَ لَمْ تَعْبَأ ولَمْ تُصِخْ *** لِنُصحٍ ولا تُصْغِي إلى قَولِ مُرْشِدِ

فَلا تَتَّقِي ذَمَّ العشيرةِ كُلِّهَا *** و تدفعُ عَنْهَا باللسانِ وباليَدِ

و تصفحُ عن ذِي جَهْلِها وتحوطها***وتــقمعُ عنها نَخْوةَ المتهَدِّدِ

وتنزلُ منها بالمكانِ الذي به***يُرَى الفَضْلُ في الدُّنيا على المتَحَمَّدِ

فَلَستَ، وإن علّلتَ نَفْسَكَ بالمنى***بِذي سُؤدَدٍ بَادٍ ولا كَرْبَ سَيِّدِ

كان الشعراء على وعي بضرورة الانضواء في ظل القبيلة والاسترشاد بآراء المبرزين فيها، ولكنهم أيضا عرفوا دورهم في توجيه المجتمع الذي يعيشون فيه، بل إنهم كانوا الدعاة والهداة لهذا المجتمع الجاهلي.

لودققنا النظر لوجدنا الشاعر يصل إلى غرضه بأساليب كثيرة يقدم من خلالها رأيه ورأيته، وينتصر بها لقيمه الخاصة التي لا تتفق مع قيم الجماعة، كما نجد الشاعر يتناول قضية العزة والكثرة تناولا خاصا، فكأنه به يقول لقومه: لا يغرنكم ما أنتم فيه من عزة وكثرة فان مصيرها إلى الفناء. ويتحدث عن الحمد وحسن الثناء مقررا أن ثمنه مما تضن به النفوس. ويتناول قضية الجود والبخل قائلا إن الجود يهلك المال، ولكنه محمود، والبخل يبقى مع المال، ولكنه مذموم، وكأنه ينهاهم عن الإسراف، لأن فيه مهلكة للمال، وينهاهم عن البخل حتى لا يلحقهم الذم ،ويتناول عادة جاهلية هي زجر الغربان تشاؤما منها مقررا أن يتشاءم لابد أن يصيبه شؤمه، و هكذا يكشف الشاعر عن المفارقات التي دخلت في نسيج البناء الاجتماعي، من خلال رؤية واعية، يوجه من خلالها جماعته توجيها خاصا.

وإذا نظرنا إلى قول طرفة بن العبد:[1]

الخيرُ خيرٌ وان طالَ الزمان بِه والشَّرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زادِ.

[1]- طرفة بن العبد، ديوان شعره، تحقيق د. علي الجندي، مكتبة الأنجلو، المصرية، ص 174.

نجد أنه يتضمن القول لقومه:أن لا تزيفون الحقائق فالخير هو الخير، أنتم تعلمونه، وهو ظاهر بين لا يتغير مهما طال الزمان، والشر هو الشر دائما، وهو أخبث شيء يحتفظ به الإنسان أو يسير في طريقه.

إن القيم التي حملتها هذه النصوص لم تكن قيما أملتها عصبية ضيقة، بل هي قيم إنسانية ما زلنا ننشدها، ونجد لها استجابة في نفوسنا"فالفن الحقيقي مهما يكن وليد عصره، يحمل قيمة ثابتة من قيم الإنسان الخالدة" [1] و الذي نريد أن نلفت النظر إليه أن الشعراء لم يكونوا دائما متعاطفين والقيم الإنسانية أو القيم الاجتماعية،ولكنهم في بعض الأحيان–وهي قليلة– يكونون دعاة شر وهدم ويرى بعض الدارسين أنه ليس الفن في الغالب إلا وسيلة للانتقام، أو التعويض عن جرم لحق بالفنان، وإذا انطوت نفسه على شيء من التعاطف أو الورع، فمرد ذلك أساسا إلى قلقه وإحساسه بالذنب لتخريب عالم يتخيله، في صورة أم ويزوده بصورة الأمومة.

إذا كان هذا الكلام ليس كله صحيحا. فانه يلفت نظرنا إلى أن الفن بوصفه أداة من أدوات التغيير، يمكن أن يكون أداة تخريب، أو أداة إصلاح، ونحن نسيء إلى الشعر حيث ننسب كل مما فيه إلى الحتمية الاجتماعية. فزهير على سبيل المثال قد نفرنا من الحرب في معلقته، ولكن في هذه المعلقة ما يهدم تلك الآراء التي دعا من خلالها إلى نبذ الحرب، ويتناقض معها، ففي الوقت الذي يقول فيه زهير:[2]

فلا تكتمن اللهَ ما في نُفُوسكمْ ***ليخفى ومهما يكتم اللهُ يَعْلَمِ

يُؤخرْ فَيوضعْ في كتابٍ فيدخرْ***ليوم الحساب أو يعجلْ فَينتقَمِ

وما الحربُ إلا ما علمتم وذقتمُ ***وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ

[1]- أرنولد هوسر: فلسفة تاريخ الفن، ص 120.
[2]- زهير، ديوان شعره، دار الكتاب المصرية، ط1، 1982، ص 18.

نراه يقول في نفس القصيدة:[1]

جَريءٌ متى يظلمْ يعاقبْ بِظلمِهِ*** سَريعًا وإلا يُبْدَ بالظُّلْمِ يظْلِمِ

و يقول :

ومَن لَا يُصَانِعْ في أمورٍ كثيرةٍ*** يُضْرَسْ بأنيَابٍ وَيُوطَأ بِمَنْسِمِ

و يقول أيضا:

و مَن لَا يذدْ عن حَوضِهِ بِسلاحِهِ*** يُهَدَّمْ، ومَن لَا يَظلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

الذي يجعلنا لا نرضى عن هذه الآراء هو تناقضها مع روح زهير التي لمسناها في المعلقة متمثلة في التنفير من الحرب، و الإشادة بدعاة السلام. فإذا قلنا إن ما في الأبيات يعبر عن أعراف وعادات اجتماعية، قلنا إن الدعوة إلى السلام كانت تعبر عن حاجات اجتماعية ملحة، والدعوة نفسها لا تتفق مع ما جاء في هذه الأبيات و لم يفرض أحد على زهير هذا القول الذي يتنافر مع حاجة المجتمع كما بين، ومع روح القصيدة" إذا لم تظلم وتبدأ بالظلم فسوف يظلمك الناس" فهل كان زهير يريد تخريب العالم في الوقت الذي كان ينفر فيه من الحرب، أم أنه كان واقعا تحت ثنائية التفكير التي أملتها عليه تناقضات الواقع.

وإذا تأملنا قول عمرو بن كلثوم:[2]

مَتَى ننقلْ إلى قَــومٍ رَحَانا ***يكونُوا في اللقاء لَهَا طَحِينَا

يكونُ ثِفَالُها شَرْقِيّ نَجْدٍ *** وَلَهْوَتُهَا قُضَاعَــةَ أجمَعِيــنا

بِسُمْرٍ من قَنَا الخَطِّيِّ لَدْنٍ*** ذَوَابِلَ أو بِبِــيضٍ يَخْتَلِينا

[1]- زهيربن أبي سلمى، ديوان شعره، دار الكتب العلمية، بيروت،ط3،2003، ص 30

[2]- شرح المعلقات السبع، الزوزني،مكتبة المعارف،بيروت،1761، ص 173-176.(أبيات مختارة)

كأن جماجمَ الأبطالِ فيها*** وُسُوقٌ بالأَمَاعِزِ يــرتَمِــينا

نَشُقُّ بِهَا لرُؤوسَ القَومِ شقًّا*** وَنَخْتَلِبُ الرِّقابَ فَتَخْتَلِينَا

نَجُــدُّ رُؤُوسَــهم في غَيْــرِ بِرٍّ***فَمَــا يَــدْرُونَ مــاذَا يَــتَّــقُــونــا

نجد نزعة تدميرية، وكأنما كان الشاعر لا يرى لأحد من الناس —غير قبيلته- أي حق في الحياة، ولا شك في أن هذا راجع إلى طبيعة العصر. حيث تبدو الحرب وكأنها شريعته، ولكننا نرى أن للشاعر دورا مهما، حيث نرى أن هذه الدعوة متطرفة-هي دعوة فرد اتخذ لسان حال الجماعة- هو غيره من الشعراء — وسيلة للتعبير عما يريدون، وللتنفيس عن أحاسيسهم و ميولهم العدوانية، فليس بالضرورة أن يكون كل عرب الجزيرة أصحاب ميول عدوانية أو حتى"تقلب" قوم عمرو بن كلثوم؛ بل ربما عمد الشاعر إلى التغني بهذه الأفعال والمآثر، إثارة للنخوة والحمية: في مواجهة ما يمكن أن نسميه نوعا من اللامبالاة الاجتماعية إزاء النعرات العصبية وروح التعدي والبطش. والذي نخلص اليه أن بعض الشعراء لديهم الاستعداد لإثارة هذه الميول العدوانية استجابة لترواتهم، وإرضاء لبعض جماهيرهم، وتقليدا لغيرهم من الشعراء، ومجاراة لهم فيما يقولونه،أو محولة للتفوق عليهم فيما قالوه، ونوعا من استكمال الفحولة في الشعر من خلال رؤية شعراء العصر، فاذا سامنا بأن كل أفكار الشاعر ليست بالضرورة أفكاره هو.

بالتالي نستطيع أن نسلم بأنها ليست كلها أفكار عصره، لكننا لا يمكن أن نقول نتيجة لذلك، بأن هذا الشعر كان بعيدا عن روح العصر، أو روح الشاعر، لأنهما يمثلان القطبين الفعالين والمؤثرين في عملية الإبداع ، ولهذا فان ما انعكس في الشعر من القيم والمثل هو قيم ومثل ذلك العصر، كما تمثلها الشعراء في شعرهم، ومن الضروري أن ننظر إلى الخطوط والملامح المميزة للقيم الجاهلية، وما يبدوا فيها من تناقض وما يتبدى بين عناصرها من جدل وما تعكسه من مفارقات، ففي مقابل حماية الجار واغاثة الملهوف واكرام الضيف نجد هناك اباحة حمى الغير.

كما نجد في كثير من القصائد روح البطش و التعدي، في كثير من قصائد الشعر الجاهلي، ولكن هذه الروح تميز المرحلة الأولى من ذلك العصر، لأننا نلمح قبل البعثة ظهور روح التعقل بدرجة واضحة،حيث يبدو من قراءتنا للنصوص الشعرية بروز الدعوة الى الخير، و محاولة اقامة الحجة على المعتدي، و الدعوة الى الأخلاق، و الوفاء بالعهود بين القبائل

الفصل الثاني:

تجليات القيم الإنسانية في لامية العرب

يقول أحمد محمد الخليل "بالشجاعة تتغلب البسالة والإقدام غلى المخاطر والبطش والفروسية والثبات عند الإقبال على الردى، وإلى النبل ينتمي السمو والشمم والنفور من مذمات الأفعال والتطلع إلى المجد، وفي العفة يتراءى الحياء وغض البصر والانصراف عن الفحشاء، ومع الحكمة تكون الرزانة والبصيرة النفاذة، ويكون التعقل والابتعاد عن الطيش وتتجلى الروح الإنسانية في السماحة والكرم والنجدة، وسعة الأخلاق والإيثار وفي قوة الشخصية يتأصل الحزم والعزم والإرادة القعساء والسيادة والمهابة"[1]

والذي لايخفى علينا أن الشاعر الجاهلي كان يستمع إلى نداء روحه وحقيقة وجوده وينشد أبياتا متسمة بطابع الحكمة والمثل الخلقية، ولو في أبيات قليلة، وذلك قبل أن يهبه الإسلام فكرة سليمة عن القيم الصحيحة ، ولكن من الغريب أن نجد شاعرا صعلوكا مثل الشنفرى يحكي عن الفضائل في أكثر من بيت في لاميته، علّه أدرك وفقا لمنطقة البدائي وما كان في مجتمعه القبلي أنه لن يتحرر من العبودية إلا إذا أظهر تفوقا على من قام بإيذائه ونبذه من القبيلة، والتفوق هذا هذا، لن يتحقق سوى عن طريق ما يعتبره المجتمع الجاهلي قيمة، سواء كانت أخلاقية أم غير أخلاقية، فقد خيّمت عليه هذه النزعة حتى أصبح لا يرى في الحياة أمرا إلا يعارضه ويتمرد عليه ليعلن صريحا أنه سيد نفسه وابن حريته، لا أحد يتفوّق عليه ويكبّله بقيود تافهة، لكن القيود لم تفارقه بل تركت في نفس الشاعر أثرا بالغا يحس به القارئ من خلال أبياته، ومن خلال هذه الأزمة النفسية طفحت حقيقة مشاعره تجاه قبيلته، وهذا ما يساعدنا على معرفة نفسية الشاعر وما سميناه فضيلة في لامية العرب.

الشخصية الصعلوكية:

إذا ما كان الأمر متعلقا بجماعة خاصة باسم الصعاليك، فمعرفة العرب ونوعية معيشتهم تساعدنا في تقديم صورة جلية عن حياة الصعاليك وكما نعرف أن لجوّ الإقليم أثرا طبيعيا قويا في حياة أهله، فهو الذي يعين لهم سنن معاشهم ونظام اجتماعهم، ويكون الكثير الغالب من أخلاقهم

[1]- أحمد محمد الخليل، في النقد الجمالي،رؤية في الشعر الجاهلي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1،1996،ص137.

وطباعهم، أما العرب فكان إلفهم حياة الظعن والتجوال والتوزع همهم بين الجدال والقتال، سببا في غلبة الحرية والعصبية والوحشية عليهم، فلم تكن لهم مدنية اجتماعية ولا حكومة سياسية ولا أنظمة عسكرية ولا فلسفة دينية.

وللعربي شخصية قوية تظهر بأنانيته، ونزوعه الى الحرية والاستقلال، وحبه الخير لنفسه دون غيره،والاستئثار بالجاه والذكر الحسن وحميد الصفات وتظهر في جلده وصبره على الفقر والجوع والظمأ ومغالبة الطبيعة في صحرائه العاتية، "فالصعلوك هو الفقير الذي لا مال له" [1] والشعراء الصعاليك" جماعة من شذاذ العرب كانوا يُغيرون على البدو والحضر، فيسرعون في النهب والتخريب ثم يفرّون دون أن يلحقهم أحد"[2] هم أولئك الذين حاولوا فعلا أن يتحرروا من سلطان قبائلهم، وخلعوا منها راضين أم كارهين، وقد ألفينا في دراسة شعرهم أن نراه ممثلا من انطلاق ذاتية الشاعر، مسجلا صدى نضاله عن هذه الذاتية، ومظهر تحرر من القيود التي تكبلها، –وفاتنا — وفات كثيرا منا، أن نقرا ما يمكن وراء حياتهم الغامضة من ألم البعد عن الأهل والعشيرة والهيام على وجوههم في الفلوات،و أن نحس تلك المرارة التي تفيض بها مشاعرهم، وبها أصبح شعرهم يعكس جمرة ألم خافية في نفوسهم، أحرار فيما يبدوا ، مشرّدين غرباء في الواقع.

وقد حاولوا نسيان الأحاسيس الرقيقة والعيش معتمدين على القوة وحب المغامرة مستهزئين بالحياة ونظامها القاسي– في رأيهم– متمردين على ما يحول دون حاجاتهم، وفي نفس الوقت لا يتركهم الشعور بالتمزق والتشرد والضياع، فقد ترك الخلع في وجدانهم من أثر عميق نافذ سجلته أشعارهم المشحونة بأشجان الغربة ووطأة الوحدة النفسية، وقسوة الحرمان من الأهل و الدار[3]

فمن أسباب الصعلكة نجد الفقر وقلة الموارد المعيشية في أرض مترامية وغياب الدولة والسلطة الجامعة، حيث لم يعهد الجاهلية الدولة الجامعة التي تسُنُّ قوانينها وتنظم شؤون الأفراد فقد كان النظام القبلي هو السائد في شبه الجزيرة العربية وكل ما كانت القبيلة قوية فرضت سلطانا قويا.

---

[1]-محمد بن مكرّم ابن منظور، لسان العرب، بيروت:دار إحياء التراث العربي،1988م،"ص ع ل ك"

[2]- بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بيروت: درا الجيل،(د .ت)، ص2.

[3]-سمية كاظمي نجف آبادي، جعفر دلشاد،القيم الأخلاقية للشنفرى في لامية العرب،بحوث في اللغة العربية وآدابها: نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة الأصفهان،العدد8

أما إذا ذهبنا إلى موضوعات التي طرقها الصعاليك كثيرة جدا من أبرزها:الشكوة من مرارة الفقر، الفخر بالبطولة، الاشادة برفقاءهم الذين يشاركونهم الغزو، وصف المواضيع التي كانوا يتربصون فيها بالعدو،المجد بأسلحتهم وقيمتها في حياتهم،و الإفتنان بسرعة عدوهم من أجل تحقيق الهدف.

الشنفرى الشاعر الصعلوك:

هو ثابت بن أوس الأزدي، لا يتفق اللغويون على معنى لفظ الشنفرى،وإن فسّره أكثرهم" بعظيم الشفتين" أما من كتبوا تراجم الشعراء، فقد كانوا يجمعون على أن الشنفرى لقب لهذا الشاعر، لقب به لعظم شفتيه، أو لحدّته،واسمه ثابت بن أوس الأزدي من أهل اليمن حتى قام صاحب خزانة الأدب فانتقد صاحب هذا الزعم [1] .أصبح صعلوكا وليس بين أيدينا ما يدلنا على سبب نزوعه إلى الصعلكة، فقيل إنه نشأ في قومه الأزد ثم أغاضوه فهجرهم،وقيل ولد في بني سلمان أو أنهم سبوه صغيرا فنشأ بينهم حتى عرف حقيقة أمره فهرب مضمرا الشر، كان من أشهر عدائي العرب حتى ضرب المثل بعدوه، فقيل:"أعدى من الشنفرى" فمن آثاره كانت له ؟أشعار متفرقة في الفخر والحماسة يصف فيها غاراته وشدة بأسه وأشهر قصائده لامية العرب وهي تقع في 68 بيتا من البحر الطويل، ةوكان الباعث على نظمها:يعتب قومه على خلعهم ونبذهم له ويفتخر بانفراد في البراري ومصاحبته للسباع واصفا صبره وعزة نفسه كما يصف المشاهد والحيوانات الضارية المفترسة والطرائد...

الشنفرة والصعاليك :

إذا كانت حياة الصعاليك تقوم على القوة في مختلف جوانبها المادية والمعنوية، أو المباشرة وغير المباشرة، وكذلك كيانهم في المجتمع قام على هذه القوة، فإن الشنفرى حظى من هذه القوة- في كل جوانبها على الإطلاق- بما لم يحظ به صعلوك آخر على الإطلاق أيضا، وأن تجتمع جوانب هذه القوة كلها في شخص واحد، وبدرجة يتفوق بها في كل جانب على أفراد طائفته، فذلك

[1]- المرجع السابق، ص45.

وضع يجعل صاحبه في المكان البارز المرموق، وهذا ما كان فيه الشنفرى، ليس في حياته ومجتمعه فحسب ،إنّما في تاريخه وفيما ولى مجتمعه من مجتمعات وعصور، أما في عصره: فقد ضرب به المثل في أرجاء الجزيرة العربية كلها في أكثر من جانب من جوانب القوة، وليس هذا بالشيء اليسير، وأما بعد عصره: فمن الواضح أن شخصيته بكل مقوماتها ظلت حتى اليوم تثير التعجب، ؟أيا كان الحكم على سلوكه، سواء في هذا الإعجاب والتعجب الرواة والداسون والمتناقلون لأخباره، وآية ذلك أن أخباره وصلت إلينا.

فقد كانت أخبار الشنفرى كلها تقريبا تثير التعجب والاهتمام، حتى أخذت طابعا يشبه الأساطير، وأصبحت شخصيته نفسها محاطة بهالة كتلك التي تحاط بها الشخصيات التي تنظر إليها الشعوب على أنها نماذج فذة من البطولة والمقدرة الخارجة عن المألوف، ذلك لأن كل مقومات شخصية الشنفرى كانت فذة إلى درجة فوق الوضع المألوف، سواء من الناحية الجسمانية أو النفسية أو العقلية

لامية العرب:

لامية العرب من أشهر القصائد في الأدب العربي ترجمت إلى عدّة لغات الفرنسية الإنجليزية والألمانية شرحها الإمام الزمخشري "أعجب العجب في شرح لامية العرب" كما حظيت بدراسات عديدة من كبار النقاد المحدثين "تثير هذه القصيدة قضية ذات بال في الأدب العربي من حيث التنازع عليها بين العرب والعجم، و معنى ذلك أنها ليست قصيدة عادية أو يسيرة الشأن فالواقع أنها درة لامعة، وقد تكون هناك قصائد ؟أتيح لها قدر كبير أو صغير من الشهرة و الذيوع لارتباطها بأحداث معينة"[1] ولكن لا تعرف قصيدة أخرى في الشعر العربي كله تنافس لامية العرب في موضوعها بالذات وفي مقدرتها على تصوير لون من الحياة العربية هو حياة الصعلكة، وعلى التعبير عن حياة طائفة من المجتمع العربي وهم الصعاليك، وعلى وصف بيئة معينة في الجزيرة العربية هي البيئة التي اتخذ منها الصعاليك ميدانا لنشاطهم، ومركزا ومنطلقا لغاراتهم، بما تشتمل

[1]- د.عبد الحليم حفني، لامية العرب، مكتبة الآداب، 42ميدان الأبرا- القاهرة،(دت)،(دط)، ص56.

عليه هذه البيئة من خصائص في طبيعتها وحيواناتها، وفي مناخها ، وقد صيغ ذلك كله في ثوب شعري واضح الجودة بل واضح التميز والتفردّ[1]

القيم الإنسانية للشنفرى في لامية العرب:

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

"علموا أولادكم لامية العرب، فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق"

انطلاقا من هذا الحديث يبدوا لنا أن المجتمع الجاهلي كان يحظى ببعض من القيم الإنسانية والأخلاقية،إذ أن دراسة هذه الأخلاق وتحديد حقيقتها وقيمتها لدى الفرد والجماعة، يرتبط بشكل أساس بالعقيدة والفلسفة العامة للحياة، وللبيئة والوارثة والتربية والظروف الفردية أثر لا يمكن تجاهله في تكوين الأخلاق وتوجيه الملكات النفسية ودرجة رسوخها في أعماق الإنسان وليس الشنفرى مستثنى عن هذا الأصل، إذ هو عربيّ عاش متشردا لأسباب قد سبق ذكرها فلا بد أن تؤثر حياة التشرد في شخصيته و أخلاقه وتعارض فطرته الصافية بعض الأحيان، "لكن من الغريب أن نجد شاعرا صعلوكا مثل الشنفرى، يحكي عن الفضائل في أكثر من بيت في لاميته، علّه أدرك وفقا لمنطقه البدائي وما كان شائعا في مجتمعه القبلي، أنه لن يتحرّر من العبودية إلا إذا أظهر تفوقا على من قام بإيذائه ونبذه من القبيلة " [2] والتفوق هذا لن يتحقق سوى عن طريق ما يعتبره المجتمع الجاهلي قيمة،سواء كانت إنسانية أم غير إنسانية، فقد خيّمت عليه هذه النزعة حتى أصبح لا يرى في الحياة أمرا إلا يعارضه ويتمرّد عليه ليعلن صريحا أنّه سيد نفسه وابن حريته، لا أحد يتفوق عليه ويكبّله بقيود تافهة، لكن القيود لم تفارقه بل تركت في نفس الشاعر أثرا بليغا يحس به القارئ من خلال أبياته، ومن خلال هذه الأزمة النفسية طفحت حقيقة مشاعره تجاه قبيلته، وهذا ما يساعدنا على معرفة نفسية الشاعر وما سمّيناه فضيلة في لامية العرب.

---

[1]- المرجع نفسه،36.

[2] -القيم الأخلاقية للشنفرى في لامية العرب،سمية كاظمي نجف آبادي- جعفر دلشاد، ص1.

[3]-**بنو الأم:**الأشقاء من الإخوة أو غير الأشقاء ما دامت تجمعهم الأم.

يقول الشنفرى في لاميته:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ **** فَإِنِّي إلى قومٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ[1]

فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرُ **** وَشُدَّتْ لِطَيَّاتٍ مَطَايَا وأَرْحُلُ[2]

وفي الأرضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عنِ الأَذَى**** وفيهَا لَمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ[3]

لَعُمْرُكَ ما في الأرضِ ضِيقٌ على امرِئٍ**** سَرَى رَاغِبًا أو رَاهِبًا وَهو يَعْقِلُ

وَلِي دونَكُم أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ **** وَأَرْقَطُ زَهْلُولٌ وعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ**** لَدَيهِمْ ولَا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

وكُلُّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غيرَ أَنَّنِي**** إذا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ لا أَبْسَلُ

وإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إلى الزَّادِ لم أَكُنْ**** بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَومِ أَعْجَلُ

ومَا ذاكَ إلا بَسْطَةٌ عن تَفَضُّلٍ **** عليهم وكان الأَفْضَلُ المُتَفَضِّلُ[4]

وإِنِّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيًا**** بِحُسْنَى ولا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ[5]

ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ: فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ **** وأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

هَتُوفٌ مِنَ المُلْسِ المُتُونِ يَزِينُهَا **** رَصَائِعُ نِيطَتْ إِلَيْهَا ومِحْمَلُ

إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنَّتْ كأَنَّهَا**** مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى تَرِنُّ وَتُعْوِلُ

ولستُ بِمِهْيَافٍ يُعَشَّى سَوَامَهُ **** مُجَدَّعَةٌ سُقْبَانُهَا وَهْيَ بُهَلُ[6]

ولاَ جُبَّإٍ أَكْهَى مُرِبٍّ بِعِرْسِهِ **** يُطَالِعُهَا في شَأنه كَيف يَفْعَلُ[7]

ولا خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤَادَهُ **** يَظَلُّ به المُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفَلُ[8]

ولا خَالِفٍ دَارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ **** يَرُوحُ ويَغْدُو دَاهِنًا يَتَكَحَّلُ[1]

---

[1] - **المطايا:** يريد الإبل.

[2] - **والأرحل:** جمع رحل وهو ما يوضع على البعير

[3] -**المنأى:** المنزل البعيد. **القلى:** البغض. **المتعزّل:** مكان الانفراد

[4] - **البسطة:** السّعة. **التفضّل:** الإحسان

[5] - **المتعلّل:** الشيء الذي يلتهي به. **أبيض إصليت:** سيف صقيل أو مجرّد. **صفراء عيطل:** قوس صفراء طويلة العنق متينة.

[6] - **مهياف:** السريع العطش. **المجدّعة:** السيّئة الغذاء. **السقبان:** ج السّقب: صغور الناقة. **البُهَّل:** ج باهل وباهلة: الناقة التي لا صرار على ضرعها.

[7] - **الجبَّا:** الجبان، **الأكهى:** الضعيف، الكدر الخلق الذي لا خير فيه، **العرس:** الزوجة.

[8] - **الخرق:** الدهِش من الخوف أو الحياء. **الهيق:** الظليم: ذكر النعام. **المكّاء:** طائر يصوّت في الرياض.

ولَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيرِه ****أَلَفَّ إِذَا ما رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ[2]

ولَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلَامِ إذا اِنْتَحَتْ**** هُدَى الهَوْجَلِ العَسِيِّفِ يَهْمَاءُ هَوْجَلُ[3]

إذا الأَمْعَزُ الصَوَانُ لَاقَى مَنَاسِمِي**** تَطَايَرَ مِنه قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ

أُدِيمُ مِطَالَ الجُوعِ حتَى أُمِيتَهُ**** وأَضْرِبُ عنه الذِّكْرَ صَفْحًا فَأَذْهَلُ[4]

وأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلَا يَرَى له****عَلَيَّ مِنَ الطَّولِ امْرُءٌ مُتَطَوَّلُ[5]

ولَوْلا اجتنَابُ الذَّأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ **** يُعَاشُ به إلاَّ لَدَيَّ ومَأْكَلُ[6]

ولكنَّ نَفْسًا مُرَّةً لا تُقِيمُ بِي**** على الذَّأْمِ إلا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ[7]

وأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايَا كما انْطَوَتْ**** خُيُوطَةُ مَارِيٍّ تُغَارُ وَتُفْتَلُ[8]

وأَغْدُوا على القُوتِ الزَّهِيدِ كما غَدَا**** أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ[9]

غَدَا طَاوِيًا يُعَارِضُ الرِيحَ هَافِيًا**** يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشِّعَابِ وَيَعْسِلُ

فَلَمَّا لَوَاهُ القُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ **** دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ

مُهَلْهَلَةٌ شِيبُ الوُجُوهِ كَأَنَّهَا **** قِدَاحٌ بِكَفَّيْ يَاسِرٍ تَتَقَلْقَلُ

أو الخَشْرَمُ المَبْعوثُ حَثْحَثَ دَبْرُهُ مَحَابِيضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ

مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كأنَّ شُدُوقَهَا شُقُوقُ العِصِيِّ كَالِحَاتٌ وبُسَّلُ

فَضَجَّ وَضَجَّتْ بالبِرَاحِ كأَنَّها وإِيَّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

و أَغْضَى وَأَغْضَتْ واتَّسَى واتَّسَتْ بِهِ مَرَامِيلُ عَزَّاهَا وَعَزَّتْهُ مُرْمِلُ

شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ وَلَلْصَّبْرُ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أَجْمَلُ[10]

---

[1]- **الخالف:** الذي لا خير فيه. **الداريّة:** المقيم في داره لا يفارقها. **المتغزّل:** الذي يحادث النساء.

[2]- **العَلّ:** ذبابة الخيل، يستعار للرجل الصغير الجسم. **الألفّ:** العاجز الذي لا يقوم لحرب ولا لضيف.

[3]- **المحيار:** المتحير. **انتحت:** قصدت. **الهوجل:** الرجل الطويل الذي فيه تسرّع وحمق. **العسيّف:** الآخذ على غير طريق. **اليهماء:** الفلاة التي لا يهتدي فيها للطريق.

[4]- **أذهل:** أنسى.

[5]- **أستفّ:** أخذه غير ملتوت ولا معجون. **الطّول:** الفضل والامتنان.

[6]- **الذأم:** العيب، اللوم، الذمّ.

[7]- **المرّة:** الأبيّة. **ريثما:** قدرما.

[8]- **الخُمص:** ضمور البطن. **الخَمص:** الجوع. **ماريّ:** اسم فاتل الخيوط.

[9]- **الأطحل:** الذي لونه كلون الطّحال.

[10]- **ارعوى:** كفّ.

وفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِرَاتٍ وَكُلُّهَا عَلَى نَكَظٍ مِمَا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ[1]

وتَشْرَبُ أَسْآرِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَمَا **** سَرَتْ قَرَبًا أَحْنَاؤُهَا تَتَصَلْصَلُ

هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وابْتَدَرْنَا وأَسْدَلَتْ**** وشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهَّلُ

فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وهي تَكْبُو لِعَقْرِهِ **** يُباشِرُهُ منها ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ

كَأَنَّ وَغَاهَا حَجْرَتَيْهِ وَحَوْلَهُ**** أَضَامِيمُ مِنْ سَفَرِ القَبَائِلُ نُزَّلُ

تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيهِ فَضَمَّهَا**** كَمَا ضَمَّ أَزْوَادَ الأَصَارِيمِ مُنْهَلُ

فَعَبَّتْ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا**** مع الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ

وآلِفُ وَجْهَ الأَرْضِ عِنْدَ افْتِراشِها **** بِأَهْدَأَ تُنْبِيهُ سَنَاسِنُ قُحَّلُ

وأَعدِلُ مَنْحُوضًا كَأَنَّ فُصُوصَهُ **** كِعَابٌ دَحَاهَا لَاعِبٌ فهِيَ مُثَّلُ

بعد دراسة لامية الشنفرى وجدنا حياته قائمة على أساس استغنائه الذاتي فهو أبي النفس، ذو أنفة وإباء، لا يقبل الذل والهوان، يكره الخضوع لقوانين الصارمة، فظهر هذا التمرد في كل مظهر من مظاهر حياته حتى أصبح متمردا على المقتضيات الطبيعية مثل الأكل والشرب والنوم فوضعنا غنى النفس في مقدمة ما اتصف به في شعرهمن الأخلاق السامية.

فعزة النفس كانت ميزة قد رسخت في نفس العربي وفقا لما رسمت له البيئة، وظل العربي متمسكا بها ويعتنقها كعقيدة دينية،وقد أشار جرجي زيدان إلى هذه الصفة قائلا:" كان العربي في الجاهلية صاحب أنفة وشرف يأبى الضيم ويغار على العرض، إذا وعد وفى،وإذا اضطر إلى رهن في أمر عظيم رهن قوسه...ولا قيمة للقوس بنفسها، ولكنها عندهم شرف الرجل فهو قائم بما رهنها له مهما كلفه"[2]

إذا عرفنا من خلال ما أشرنا إليه أن أغنى الرجال من عرف قدر نفسه، و لم يضيعه بالسؤال أو بالأحرى كثرة السؤال، لأن الحاجة إلى الآخرين تجلب الذلّة.

[1]- **فاء:** رجع. **النكظ:** الشدّة والجوع. **المُجمل:** الصابر.

[2]-جرجي زيدان، مؤلفات جرجي زيدان الكاملة، بيروت: دار الجيل،1982م،ج1، ص 126.

ولعل الشنفرى عرف فطريا قيمة نفسه ولأنه لقي من مجتمعه القبلي ما وضع قدره حاول أن يعوض عما فاته بمجموعة من الخصال الحميدة، منها غنى النفس المذكورة في هذه الأبيات:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى** وفيها لمن خاف القلى متعزل**[1]

الكريم يرفض الذُّل والأذى ويفضل اعتزال الناس على احتمال أذيَّتهم وحقدهم.

لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ ** سرى راغبا أو راهبا فهو يعقل**[2]

وهذا تأييد للبيت السابق: العاقل لا يحتمل الأذى.

يعتقد الشاعر أن الكريم والعاقل لا يكسر شوكته بالعيش مع الذين يؤذونه،فكأنه أراد اتصاف نفسه بهاتين الصفتين وأن يبرِّر سبب رحيله من بين قومه.

هم الأهل لا مستودع السرّ ذائع** لديهم ولا الجاني بما جرَّ يخذل**

وكل أبي باسل غـــير أنـــني** إذا عرضت أولى الطرائد أبسل**[3]

فهو يعتبر الإباء من الذّل والظّلم ميزة تخصُّ الوحوش دون قبيلته،ولهذا يفضل العيش معها على البقاء مع قبيلته،فكان الإباء والامتناع من الذلّ في غاية البأهمية للشاعر حتى وصف الوحوش بها قائلا: **وكُلٌّ أبيٌّ.**

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن ** بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل**

هو لا يمدُّ اليد إلى الطعام قبل بدء الآخرين بالأكل، مع أن الطعام من الضروريات في حياة الصعاليك لما يعانون من الجوع، هذا لأنه يريد الحفاظ على كرامته بضبط النفس عما يضر بسمعة الرجل ويجلب له العيب والنقص.

وما ذاك إلا بسطة عن تفضّل** عليهم وكان الأفضل المتفضل**[4]

يرى الشاعر أن القناعة وعدم الجشع وإيثار الآخرين على نفسه ليس إلا من سعة فضله واتصافه بصفات محمودة وهو الأفضل دون سواه.

---

[1]- بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام،بيروت: دار الجيل،1423ه، ص5.
[2]-المصدر نفسه،ص 5.
[3]- المصدر نفسه،ص 5.
[4]- المصدر نفسه، ص6.

أديم مطال الجوع حتى أميته** وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل**

وأستف ترب الأرض كي لا يرى له** علي من الطّل امرؤٌ مُتَطَوَّلُ[1]**

يُفضِّل أن يستفَّ تراب الأرض على أن يمنَّ أحدٌ عليه بلقمة.إذا يؤثر الشاعر أكل التراب أو بالأحرى الموت على أن يمدَّ يده أمام متكبِّرٍ يدوس كرامته بمنِّه ويستعبده، فهو لا يبيع حريَّته بثمن بخص ولا يكدِّر صفو خاطره باحتمال المنِّ والأذى من البخيل المتكبر.

ولولا اجتناب الذأم لم يلف مشرب ** يعاش به إلا لدي ومأكل[2]**

بإمكانه الحصول على ما يريد بطرق غير كريمة، لكنه لا يقبل العيب والذم. فهو يتحمل العطش والجوع ليس لأنه غير قادر على تأمين معاشه بل لأنه يكره أن يذمه الناس ويعيّروه بصفة ذمّ.

فكل ما يقوله الشاعر عن تحمُّل الجوع والعطش يمكن اعتباره فضيلة أخلاقية؛ لأنه كما يقول قادر على اكتساب أصناف المآكل والمشارب، لكنه يأبى أن يكسر شوكته بالاعتماد على القوة خوفا من النقص والذَّم.

ولكنَّ نفساً مرَّةً لا تُقيم بي** على الضّيم إلا ريثما أتحوّلُ**

يصرح الشاعر بأنه أبيُّ النفس لا يبقى في موضع الذُلِّ والهوان.

فلا جزع من خَلّةٍ مُتكشِّفٌ ** ولا مرح تحت الغنى أتخيّلُ**

يريد الشاعر أن يقول إنني لا أستسلم للفقر مُظهرا ضعفي، ولا أنقاد للغنى أفرح به وأختال، فهو لا يخاف الفقر ولا يظهر حاجته للناس، ولا يغرُّه الغنى عندما يدركه.

يبدو أنّ البيت يحمل نداء اعتراض على قوم الشاعر بأنهم لا يتحمَّلون الفقر مثلما يفعله ويختالون عند الغنى، وهكذا أبدى تفوُّقه عليهم.

ولا تزدهي الأجهالُ حِلمي ولا أُرى ** سؤولاً بأعقاب الأقاويل أُنملُ**

فهو حليم لا تستخفُّه الأهواء ولا تغلب عقله، متعفِّف عن سؤال الناس، بعيد عن النميمة وإثارة الفتن بين الناس.

---

[1]- المصدر نفسه، ص7.

[2]- المصدر نفسه، ص7.

القناعة وعدم الجشع

القناعة ثرة لا تنفد، وقد قال العلّامة المحدّث الفيض الكاشاني في فضل القناعة:

"اعلم أن الفقر محمود، ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الكفاف ويقصر الأمل، فإن تشوّف إلى الكثرة وطول الأمل فاته عزّ القناعة وتدنّس لا محالة بالطمع وذلّ الحرص وقلة القناعة و جرّه الحرص والطمع إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروّات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة المناعة"[1]

هذا كلام عالم أخلاق عاش بعد ظهور الإسلام بعدما تتلمذ على أكبر معلم أخلاق وهو النبي **صلى الله عليه وسلم** ، لكن الشنفرى أدرك في حكمته الفطرية أنّ الفقر محمود مع القناعة، وهو وإن كان يعاني من الجوع فلا بدَّ له أن يتمسَّك بشيء كالقناعة ليتفوَّق على الآخرين في ابتعاده عن الذُّل ويحافظ على عزة نفسه؛ لأنَّ الجوع وحده لا يجلب العزَّة للفقير.

وإن مُدَّت الأيدي إلى الزَّاد لَم أكُن** بأعجلهم إذ أجشعُ القوم أعجَلُ**

يفتخر الشاعر في هذا البيت بقناعته وعدم حرصه على الطعام، فهو ليس أسرعهم للحصول عليه، فلو تعجل في الإقبال على الطعام، لكان في تعجله عليه من دون الآخرين خضوع للحاجة وارتهان للعبودية.

وأغدو على القُوت الزَّهيد كما غدا** أزَلَّ تهاداه التَّنائفُ أطحَلُ**[2]

في البيت إشارة خفيَّةٌ إلى قناعة الشاعر بالقليل من الطعام، فهو يكتفي بالقوت الزهيد؛ لأن القوت ليس غاية الحياة، وبذلك يخالف الآخرين ممن لا أمل لهم إلا في ملء جوفهم.

الصبّر

[1]- الفيض الكاشاني، الحقائق في محاسن الأخلاق،بيروت :دار البلاغة، 1989م، ص117.

في حياة الصعاليك نظرا لظروف عيشهم فقد يكون التصبر خاصة على الجوع من طباع الصعلوك، إلا أن الشنفرى يفخر به في باب السّعي إلى الانتصار به على الطبيعة وعلى الكون[1].

أُديم مِطالَ الجوع حتى أُميته ** وأضرب عنه الذِّكر صفحا فأذهلُ**

فهو لا يدع للجوع مجالا فبشاغل الجوع ويعرض عنه حتى ينسيه أو يتناساه؛ لأنه لا يريد الخضوع لأحد، بل يريد التغلّب على نفسه وما تهواه كي يكون مستعدّاً لمعارضة الآخرين من بني نوعه.

وأطوي على الخُمص الحوايا كما انطوت** خيوطه ماريٍّ تغار وتُفتلُ**

لا يدع الشاعر مجالا للجوع فيشدُّ أمعائه عليه ويطويها، كما يطوي الفاتل خيوطا ويحكم برمها، وبصبره عليه يسدُّ باب الهوان على نفسه كي لا يتحكّم عليه أمر تافه مثل الجوع ويذلّه.

واضح أن الشنفرى أحسَ في غريزته الغامضة أن الحرية والتمرّد لا يتحققان حتى يتحرر المرء من مقتضيات الغريزة، يضائل من شأنها حتى القدر الأخير فكأنها غير موجودة يؤديها كغرض تافه إلى جنب حياته وعلى هامشها إنّما غايته أن يتفكك من قيود الوجود.

وأغدو على القوت الزَّهيد كما غدا ** أزَلُّ تهاداه التَّنائف أطحَلُ**

فهو قنوع بالقليل صابر عليه لأسباب قد سبق ذكرها.

شكا وشكت ثمَّ ارعوى بعدُ وارعوت** ولَلصَّبرُ إن لم ينفع الشَّكوُ أجمَلُ**

يصف الذئابَ في جوعهم وصبرهم على الجوع عندما لا ينفع التشكّي، كأنَّ الشاعر يرى نفسه واحدا من الذئاب باحثا عن الطعام ليسدَّ به الجوع، لكن عندما خاب ظنُّه و لم يجد شيئاً للأكل تمسَّك بالصَّبر ورآه أجمل حلّ لمشكلته.

وفاء وفاءَت بادراتٍ وكُلّها** على نَكَظٍ ممّا يُكاتم مُجمِلُ**

بعدما فشلت الذئاب في محاولتها للحصول على الطعام، رجعت بسرعة، وهي تبدي التجلد والصبر على شدّة الجوع الذي تخفيه. والبيت تأكيد لما ورد في البيت السابق.

وآلف وجه الأرض عند افتراشها** بأهدَأتُنبيه سَناسِنُ قُحَّلُ**

[1]-القيم الأخلاقية للشنفرى في لامية العرب،سمية كاظمي نجف آبادي- جعفر دلشاد، ص8.

يقول: تعوّدت على افتراش الأرض مستندا إلى منكب صلب رفعه من الأرض فقار أو أضلاع يابسة، فهو لا ينام على السرير بل على الأرض الصلبة، وهذه الأحوال كلها هي من باب الرفض وعدم الاستسلام، بها يصارع القوانين الجائرة الواهية ويصارع الطبيعة بل يصارع القدر والكون، فلا يقبل بما يقبل عليه بل إنه هو الذي يأخذ منه ما يريد وبأقلّ قدر ممكن، ليظلَّ حرا متحرِّراً[1]

وأعدلُ منحوضاً كأَنَّ فُصوصَهُ ** كعابٌ دحاها لاعبٌ فهي مُثّلُ**

يصف الشعر قلّة لحمه وشدة عظامه بقوله: إني أتَّخذ ذراعي وسادة وهي قليلة اللحم، كأن فواصل عظامها كعاب يلعب بها اللاعب فتنتصب أمامه. كأنه يريد القول أنَّ الطبيعة وكل شيء فيها طوع لإرادته، فهو يتحمل الصِّعاب للحفاظ على حريته إذ إنه لا يخضع لمن يسيطر عليه ويهدّد حريته، لكن فيما يبدو أنّ تحمّل الصّعاب خاصة الجوع ليس قيمة أخلاقية إلا إذا كان وراءه هدفٌ سامٍ.

الحلم والتعفُّف عن السؤال والبعد عن النميمة:

ولا تزدهي الأجهالُ حِلمي ولا أُرى ** سَؤولا بأعقاب الأقاويل أُنمِلُ**

و"**الحِلم، بالكسر: الأناة والعقل**"[2]

يقول الشاعر:إنّ حلمي لا يستسلم للأهواء، ولست بنمّام يتّبع حديث الناس وينقله عنهم. فهو في هذا البيت يجمع لنفسه ثلاث خصال يفخر بها؛ الحلم، التعفّف عن سؤال النّاس والبُعد عن النميمة وإثارة الفتن. وكأنّ ضد هذه الصفات كان شائعا بين أبناء قومه وأراد الشاعر أن يظهر مدى فضله عليهم بتجنبه هذه الرذائل، وكأنّ الحلم أصبح خيرَ بديل من عشيرته التي فقدها وفقا لكلام الإمام علي **رضي الله عنه** "الحلم عشيرةٌ"

الكرم والعقل:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى ** وفيها لِمن خاف القلى مُتعزَّلُ**

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ ** سرى راغبا أو راهبا وهو يعقلُ**

[1]- المرجع السابق،ص 9.

[2]- محمد بن مكرّم ابن منظور، لسان العرب،بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988م، "ح ل م".

العقل حسام قاطع- كما يقول الإمام علي **رضي الله عنه** فمن تسلّح به، استغنى عما دونه؛ لأنّه أغنى الغنى. وفي هذين البيتين يشيد الشاعر بالكرم والعقل وينسبهما إلى نفسه بقوله: إن الكريم والعاقل لا يبقى في نكان الهوان بل يعتزل الذين يريدون به الأذى.

الحزم:

قد جاء في لسان العرب: " **الحَزمُ: ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثقة. ورجل حازمٌ وحزيمٌ من قوم حَزَمة وحُزماء وحُزَّمٍ وأحزامٍ وحُزّامٍ: وهو العاقل المميز ذو الحُنكَةِ**"[1]، والشنفرى قد وصف نفسه بالحازم في هذا البيت:

فإنّي لمولى الصّبر أجتاب بَزَّه** **على مثل قلب السِّمع الحزم أنعَلُ**

فهو وإن كان حافي القدمين، يحتذي الحزم، معتمدا على نفسه لا يحتاج إلى الآخرين خاصة قبيلته؛ لأنه قد تسلّح بالصبر والشجاعة والحزم.

حفظ الأسرار:

همُ الأهلُ لا مستودَع السِّر ذائعٌ** **لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُخذَلُ**

ربما خلع بنوسلامان الشنفرى في جريرة اقترفها و لم يدافعوا عنه كسائر الأحرار الذين تحدروا من صلبهم؛ وعندما خُلع، أدرك أنه ليس فعلا منهم، بل مُضافٌ إليهم، وذلك هو الهوان الحقيقي بالنسبة إليه.

أثّرت هذه المعاناة في نفسه وجعلته يفضّل الوحوش على قومه لأنها لا تفشي سرًّا ولا تخذلُ المذنب بما اقترف وفي المصراع الثاني كأن الشنفرى كان يقصد من خلال تقديم الجار والمجرور المفيد للحصر وهو قوله:"**بما جرّ**" أن يذكّر قومه بأنّ العدل يقتضي عند جرّ الجريرة والحكم عليها أن ينظر الحاكم أو القاضي إلى الظروف والعوامل التي ساقت الجاني إلى ارتكاب الجريرة لا إلى الجريرة نفسها، أو ربما أراد أن يطالب بما كان يلاءم المجتمع القبلي في العصر الجاهلي وفقا لما كان معروفا بينهم:" **أُنصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً**"

[1] المرجع نفسه ،"ح ز م".

فحفظ الأسرار يهمُّ الشاعر إلى درجةٍ جعلت من الوحوش أهلا له لتمسُّكها بهذه الصفة بل جعله شرطاً لاختيار أهله الجدد؛ لأنه شعر بالضيم والنكد في القيام بين قوم يذلونه ويسخِّرونه ويتخلون عنه في المقام الحرج، لكنَّ الوحوش لا تُؤذي مثل الإنسان ولا تغدر ولا تتآمر ولا تخذل في الموقف الحرج.

الترفع عن صفات اللئام:

ولست بمهيافٍ يُعشِّي سَوامَه**** **مُجَدَّعةً سُقبانُها وهي بُهَّلُ**

ينفي الشاعر عن نفسه الجبن والبلادة وانعدام الرأي والشخصية فيعتمد على رأي زوجه ومشوراتها؛ لأن ملازمة الزوج تدلُّ على الكسل والضعف والانصراف عن الكسب. فبذلك ذمّ الشاعر الجبن والبلادة وسوء الخلق كي يظهر فضله في الاتصاف بالصفات الحميدة.

ولا خَرِقٍ هَيقٍ كأنّ فؤادَه **** **يَظَلُّ به المُكّاء يعلو ويسفُلُ**

يقول إنني لست ضعيفا ولا خائفا من حدوث الأمور العظيمة كالظليم في نفوره عند حدوث أمرٍ رائع فيرجف فؤاده كأنه طائر يعلو ويسفل.

ولا خالِفٍ دارِيَّةٍ مُتغزِّلُ **** **يروح يغدو داهناً يتكحَّلُ**

يحاول الشاعر إثبات نفسه ورجولته نافيا عن نفسه الكسل ومغازلة النساء والتشبُّه بهنّ في التزيُّن والتكحّل.

ولست بعلّ شرُّه دون خَيره**** **ألَفَّ إذا ما رُعنَه اهتاج أعزَلُ**

يقول إنني لست برجل ضعيف الجسم والهمّة، شرُّه أكثر من خيره، عاجز عن القيام بأمور الحرب والضيف، تراه إذا أفزعتَه يثور ويسرع دون أن يحمل السلاح.

ولست بمحيار الظّلام إذا انتحت**** **هُدى الهَوجَلِ العِسيِّف يَهماءُ هَوجَل**

فهو لا يتحير في الظلام؛ لأنه ذكي لا يضلّ الطريق في الفلوات البعيدة المخيفة التي تُضلُّ رشد الرجل الأحمق ولا يخاف من المهالك.

كان الشاعر يهدف من وراء هذه الأبيات إلى إثبات وجوده وأنَّه لا ينقصه شيء فلماذا طرد في حين كان قومه بحاجة إلى شخص مثله، شخص يتمتّع بالعقل والقوة والرجولة.

الشجاعة:

"كانت الشجاعة وعدم المبالاة بالموت ميزة اتصف بها العرب، إما دفاعاً عن ذمار القبيلة التي ينتسبون إليها، أو ذباً عن الحريم وصونا لهن من المهانة وذلّ السبى"[1]

وفيما يبدو أنَّ الشجاعة إذا اعتُبرَت خصلة لدفع الظّلم تصبح من القيم الأخلاقية وفي غيرها حيث يجعلها المرء وسيلة للفتك والنّهب لا تتجاوز سوى حدود التهوّر، لكنّ الحوفي يرى أنّ الشجاعة عند العرب لم تكن تهوراً كما يعتقده البعض بل نسمّيه تهوراً كان هو الشجاعة في أعلى مراتبها في نظر أولئك الشجعان [2].هناك من أبيات الشنفرى ما يدلّ على بطشه أكثر منه على شجاعته فلم نجد ضرورةً في ذكرها واكتفينا بذكر بعض الأبيات:

وإني كفاني فقدَ من ليس جازيا** بحُسنى ولا في قُربه مُتَعلَّلُ**

ثلاثةُ أصحاب: فؤادٌ مشيّع ** وأبيضُ إصليتُ وصفراءُ عَيطَلُ**

والمُشَيَّع : الشجاع، كأنّه في شيعة كبيرة من الناس. فهو متشرّد وحيد في الصحراء بعيد عن دعم القبيلة ورعايتها لا يرافقه سوى قلبه المقدام، سيفه وقوسه.

فإني لمولى الصّبر اجتاب بزّه** على مثل قلب السِّمع والحزمَ أنعَلُ**

قلب شجاع كقلب السِّمع.

يبدو أنَّ الشجاعة في شعر الشنفرى ليست فضيلة، إنَّما هو شجاع لأنّ حياة الصعلكة تفرض عليه عدم الخوف من المهالك والخوض فيها فضلاً عن ذلك أن الشجاعة بغض النظر عن دافعها كانت زينة للعربيّ في العصر الجاهلي كما أشرنا إليه مسبقا.

[1]- سالم عبد العزيز، تاريخ العرب في العصر الجاهلي،بيروت: دار النهضة العربية،1971م، ص 443.
[2]-أحمد محمد الحوفي،الحياة العربية من الشعر الجاهلي،ط3، دمشق:دار القلم،1962م،ص335.

خاتمـــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

بعد هذه الجولة في تلك الإثارة الخالدة في تاريخ الأدب للأمة العربية، نرجو أن نكون قد وفقنا إلى تحقيق ما كنا نصبوا إليه من دراسة موضوعية للقيم الإنسانية في العصر الجاهلي ودراسة جماليتها من خلال النصوص الشعرية، بالإضافة إلى دراستنا التي اهتمت بجماليات النص الإنساني في لامية العرب.ولسنا نزعم بأننا أعطينا البحث كل حقه،فوعاء العلم لا يمتلئ، لكن يمكن أن نستخلص من ذلك ما يلي:

أن إنسان ما قبل الإسلام كان يتصف بجملة من الفضائل والقيم، وقد أتينا بنماذج لنصوص شعرية تدل على تمسك العرب بالقيم الإنسانية ، يأتي في مقدمتها الكرم العربي الذي يتميز بأنه كرم لذات الكرم، يهدف منه صاحبه مساعدة الآخرين، وإلى جانب هذه الصفة نجد العربي منصفا بالشجاعة التي لم تكن تعني التهور والطيش بقدر ما كانت تعني الإقدام وقت الإقدام والإحجام إذا تطلب الأمر ذلك، وتقتضي هذه الصفات الحميدة صفات أخرى مثل:الصدق والوفاء بالعهد، ونجدة المستغيث، ومجموع تلك الفضائل الإنسانية والأخلاقية التي اتسم بها العربي هي التي أهلته لتحمل الرسالة الإسلامية الخالدة ونشرها إلى ربوع الدنيا.

النزعة الإنسانية هي صدق التعبير عن الإنسان في كل حالاته النفسية، وبذلك الأخلاق هي الحس الإنساني العميق، فمهمة الشاعر هي رسالة سامية في تكوين المجتمعات.

ظهور النزعة الإنسانية في لامية الشنفرى حيث نلمس الفضيلة التي نشرها في شعره بين الناس وجدارته بالإحتذاء من حيث العفة والكرم والشجاعة والحلم والإنسانية.

أن الشعر الجاهلي متفرد لما فيه من جميل العبارة وحسن الألفاظ وقوة المعنى وجزالة اللفظ وصدق العاطفة لما فيه من التجربة الشعرية.

جميع صفات وقيم الشعراء الجاهليين السابق ذكرها تدل على أصالتهم ورجولتهم الحقة.

لقد كان العرب بحق أمة الكلمة والموقف والفتوة ومكارم الأخلاق.

قائمة المراجـــع

قائمة المصادر والمراجع :

1. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: د.علي عبد الواحد الوافي، القاهرة، 1957، ج2.
2. أبو تمام، شرح ديوان الحماسة، تحقيق:محمد حسننقش، دار الغرب الاسلامي، 1991.
3. أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، القاهرة، 1949، والطبعة 1956.
4. أحمد محمد الخليل، في النقد الجمالي، رؤية في الشعر الجاهلي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1996.
5. أرنولد هوسر:فلسفة تاريخ الفن، ترجمة رمزي عبده جرجس- مراجعة د. زكي نجيب محمود، سلسلة الألف كتاب- مصر- 1968.
6. الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، بيروت.
7. بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بيروت: دار الجيل، (دت).
8. د. جابر عصفور،الصورة في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة بالقاهرة، 1978.
9. الخنساء،ديوانها الشعري، تحقيق: عبد السلام الخوفي، دار الكتب العلمية، بيروت،(دت).
10. ديوان طرفة بن العبد، ديوان شعره: تحقيق د.علي الجندي، مكتبة الأنجلو، المصرية.
11. زبير دراقي،المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، (دت).
12. زكريا إبراهيم،مشكلة الإنسان، مكتبة مصر،1997.
13. زهير بن أبي سلمى، ديوان شعره، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003.
14. زهير، ديوان شعره، دار الكتاب المصرية، ط1، 1982.

15. سمية كاظمي نجف آبادي، جعفر دلشاد، القيم الأخلاقية للشنفرى في لامية العرب، بحوث في اللغة العربية وآدابها: نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية لجامعة الأصفهان، العدد8.

16. د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ شبه الجزيرة العربية قبالإسلام،الناشر:مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،(دت).

17. د.طه حسين، فب الأدب الجاهلي، القاهرة،1927.

18. د.طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط11، 1975.

19. عائشة عبد الرحمان ، القيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف بمصر،1970.

20. عبد المنعم تليمة، مدخل إلى علم الجمال الأدبي، دار الثقافة بالقاهرة،1978.

21. عبيد بن الأبرص، ديوانه، تحقيق:سيرشارلس ليال، دار المعارف بمصر.

22. د. عز الدين إسماعيل، دار غريب القاهرة، مصر،الطبعة 4، (دت).

23. محمد بن مكرّم ابن منظور،لسان العرب، بيروت: دار الإحياء التراث العربي، 1988م، "ص ع ل ك ".

24. محمد حسين، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، بيروت 1960.

25. محمد زغلول السلام- مدخل إلى الشعر-دراسة في البيئة والشعر، مطبعة الإنتصار، الإسكندرية، مصر،(دت).

26. مونسي مصطفي، عبيد الله محمد،مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر، 2013-2013.

27. د. نبيل راغب: التفسير العلمي للأدب، نحو نظرية عربية جديدة جديدة، المركز الثقافي الجامعي، 1980.

الفهـــــرس

الفهرس :

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	**أ-ج**
مدخل.....	**4**
الفصل الأول: الشعر الجاهلي وقيم الحياة الجاهلية.	
مصادر الشعر الجاهلي.....	8
القيم والنزعة الإنسانية.....	10
صفات العرب.....	13
الكرم.....	15
الشجاعة.....	15
العفة.....	16
الوفاء.....	16
الحلم.....	17
الشاعر وقيم الحياة الجاهلية.....	18
الفصل الثاني: تجليات القيم الإنسانية في لامية الشنفرى.	
الشخصية الصعلوكية.....	28
الشنفرى الشاعر الصعلوك.....	30
الشنفرى والصعاليك.....	30
لامية العرب.....	31
القيم الإنسانية للشنفرى في لامية العرب.....	32
خاتمة.....	**45**
قائمة المصادر والمراجع.....	**48**
الفهرس.....	**52**